بريطانيا فى هذه الحرب

سلسلة عربية مبسطة

أشهر المعـــارك وأشهر الجيوش

الجزء الاول

الجيش الثـــامن

نقله عن عدة مصادر انجليزية

الاستاذ محمد حمدى

راجعه وعلق عليه

الصاغ عبد الفتاح ابراهيم

خريج كلية أركان الحرب الملكية بالقاهرة

obeikandl.com

obeikandl.com

تقدمة

عندما عرض على الصديق الألمعى الأستاذ محمد حمدى أن اراجع كتابه عن « الجيش الثامن » ، وأن أعقب على مايصح التعقيب عليه ، مما جاء فيه من دروس عسكرية ، لم أتردد لحظة واحدة فى قبول القيام بهذا العمل . ذلك لأننى أعتقد أن قصة الجيش الثامن كتاب لا يصح أن تخلو منه مكتبة عسكرية أو مدنية فى العالم كله ، لا فى الشرق الاوسط فحسب ، . وهى — كدراسة — لا ينبغى أن يغفل مطالعتها فرد ، مدنيا كان أم عسكرياً ، أولا ، لأنها — كتاريخ — ترتبط وثيقا بتاريخ الشرق الاوسط طوال الاعوام الثلاثة الماضية . ، وثانياً لأن التجارب التى جاءت وليدة هذه المعارك قد انتهت الى تقرير أصول فى فن القتال فى الصحراء لا يمكن أن تعدل الا إذا شهدت هذه الأرض حربا أخرى — لا قدر الله — يمكن أن يتبدل فيها الاستخدام التكتيكى للاسلحة والأفراد على صورة غير تلك التى جاءت بها هذه الحرب ،فمعارك الجيش الثامن — أوقصة قتال الصحراء فى غرب مصر بين العلمين وطرابلس على متباين مراحلها — أو طوال تأرجح بندول الساعة بتعبير أصح — يمكن أن تكون المرجع القيم لطلاب أى معهد عسكرى أولى أو عال على حد سواء . .

على أن الشىء الذى أود أن أشير اليه هو أن هذا التعقيب العسكرى الذى

سقته بين سطور الأصل قد أوقف على ايضاح الدروس العسكرية دون تقديم لآراء مدرسة خاصة . . وقد قصدت منه توجيه النظر الى بعض الدروس التى تمكن القارىء العسكرى من أن يراجع الكثير من الحديث فى كتب التعليم .

* * *

قرأت كتاب « الجيش الثامن » فى صفحاته الطويلة بالانجليزية . . ثم قرأته بعد أن نقله صديقى الأستاذ حمدى الى العربية . . ثم أعدت تلاوته وهو يخرج من بين أيدى عمال صف الحروف ، ثم قرأته مرة رابعة وهو صفحات تقذف بها آلة الطباعة ، وفى كل مرة كنت أزداد إعجاباً بالكتاب واعتقاداً بأنه من واجب كل فرد أن يقرأه ولاسيما أبناء مصر التى حدثت جل معاركه عند جدارها الغربى . .

جزى الله صديقى حمدى عن نقله هذا الكتاب أحسن الجزاء

القاهرة . يوليو ١٩٤٤

عبد الفتاح ابراهيم
صاغ

الفصل الاول

ميلاد جيش

تضمن تقرير ايطالى رسمى عن معارك خط مارت ريكاريت حديثاً عن الجيش الثامن يمكن أن يقدم صورة وصفية سريعة لهذا الجيش ، ونصه كما يلى:

« يمثل الجيش الثامن أقوى قوة حديثة يمكن أن توجد اليوم فى مختلف مسارح هذه الحرب العالمية . ومشاة هذا الجيش مدربون إلى درجة كبيرة ومتشبعون بروح قتال كما أنهم مزودون بأسلحة وأدوات أكثر وأفضل مما يمكن أن يكون لدى أى مشاة فى العالم ، والمدفعية الانجليزية منظمة على أكمل وجه ومزودة بمدافع لا يفضلها غيرها ، والوحدات المدرعة بين أفضل ما فى العالم من وحدات من هذا الطراز . وقادة هذا الجيش والضباط أركان الحرب به اختيروا بعناية وقد أثبتوا كفايتهم فى أرض المعركة ، وأخيراً فان للجيش الثامن نحو عشرة آلاف عربة ميكانيكية وتحت امرته أسطول بحرى وآخر جوى ، والتعاون بين القوات الجوية والبرية يمكن أن يقدم كأحسن مثل لهذا النوع من العمليات المشتركة »

والواقع أن تقدير عدد العربات الميكانيكية للجيش الثامن — على ما ورد فى هذا التقرير — يقل كثيراً عن الحقيقة . أما ما عدا هذا مما تضمنه الحديث فقمين بقليل من التعقيب . إذ أن كثيراً من قادة وحدات الجيوش البريطانية الأخرى كانوا فى ذات مستوى الكفاءة التى بدت من قواد وحدات

الجيش الثامن ، ، ولعل المعقب الايطالى كان متأثراً بحقيقة أنه لا شيء يمكن أن يحفظ للجيش المهزوم مكانته أكثر من المديح الذى يوجه لخصمه المنتصر ! إلا أن هذا الحديث فى الواقع — عند ما كتب فى ابريل — كان صحيحاً وقد بقى حقيقة لاجدال فيها منذ ذلك التاريخ ، بل لعل الجيش الثامن كان فى رأى القوات والجيوش التى واجهته على مسرح الحرب آلة حربية أقوى وأصلب من فيلق أفريقيا الألمانى ...

على أن الجيش الثامن لم يكن كذلك دائماً ... فقد ولد فى لحظة من أحرج اللحظات فى تاريخ بريطانيا وكان وليد جيش النيل الذى دمر به الجنرال ويفل الجيش الايطالى فى ليبيا ثم كاد هو نفسه أن يدمر فى الهجوم المضاد الذى قام به الألمان عندما أضعف جيش النيل بما ارسل منه للوفاء بالوعد الذى قطع لليونان . ومسألة إيقاف الألمان عند الحدود المصرية وعند النطاق الخارجى لدفاعات طبرق ، لا يصح أن تعزى فقط إلى أولئك الذين كانوا فى غرب مصر وإنما لهم ولأولئك الذين كانوا يتولون الأمر فى بريطانيا وكان لديهم من الجرأة وبعد النظر ما زين لهم إرسال امدادات إلى الشرق الأوسط فى وقت كانت لاتزال فيه بريطانيا مهددة بالغزو ، وعلى الرغم من أن ما كان يستطاع ارساله على خطوط مواصلات تمتد اثنى عشر الف ميل لم يكن ليجعل فى مقدور الجيش الثامن أن يظل قوة ضرب صلبة لعدة شهور ، وفى الوقت الذى كان يجب فيه — أيضا — حرمان المحور من التسرب إلى سوريا ، وانقاذ العراق من ثورة عمال المحور ، وفى وقت كان التهديد المتزايد من ناحية اليابان يتطلب ارسال إمدادات للشرق الأقصى ، وفى وقت بات من الضرورى فيه بعد هجوم الألمان على روسيا فى يونيو عام ١٩٤١ ، تحسين ووقاية الطريق من الخليج الفارسى إلى القوقاز . هذه كلها أشياء كان من

الضرورى القيام بها فى وقت كان أغلب سكان العالم يتوقعون نصراً مبكراً للمحور !

وهناك عامل آخر يجب أن يقدر تماما عند الحديث عن الأعمال التى نيط بالجيش الثامن تحقيقها، ذلك العامل هو طبيعة الأرض التى كان لابد أن تدور عليها رحى القتال. ولا تعطى الرسوم التى ظهرت عن الصحراوات أية صورة حقيقية للصحراء الغربية . ففيها رمال أقل مما يتوقع الفرد والعواصف الرملية التى يكثر ذكرها إنما هى سحب من الأتربة لا الرمال ، والكثير من المناطق التى لا يمكن اجتيازها — اللهم إلا بعد المطر — تشبه الصخر المسطح أكثر مما تشبه أى شىء آخر ، ولا توجد أية (أغراض) أرضية اللهم إلا منخفضات قريبة الغور يمكن الدبابات أن تتوقف خلفها لإطلاق النيران وهى مستترة من الأمام .

وأهم ما يميز الصحراء الغربية هو قلة المياه . ولهذا مد خط أنابيب على طول الطريق من الاسكندرية إلى طبرق تقريبا. ومياه هذه الأنابيب - بالاضافة إلى بعض المياه الملحة التى يمكن الحصول عليها من الآبار الملحة - جعلت فى الامكان تخصيص جالون لكل فرد لمتباين احتياجاته ، وإن كان ما وصل الجنود فعلا فى الغالب ، أقل من ذلك .

ولم يكن الجو رديئا بل إن الكثيرين كانوا يرون أنه صحى فيما عدا الوقت الذى تهب فيه رياح الخماسين .

والواقع أن كل شىء فى الصحراء لم يكن عادياً ، الأمر الذى كان يتطلب أن يدرب الجنود بضعة أسابيع على الأحوال المحلية حتى يصيروا صالحين للقتال فى الصحراء . ويمكن أن ندرك شيئا من هذه الأحوال من مثلين صغيرين: أولهما أنه فى هذه الصحراء المعدومة الساتر كان من الضرورى أن تعمل كل

التحركات ليلا ، والثانى هو أن أفراد طاقم كل عربة كان يجب أن يعرفوا كيف يعدون طعامهم لأن الانتشار والتوزيع كان هو التشكيل الطبيعى . ولا يمكن أن توصف الصحراء بأحسن مما وصفها به الجنرال فون رافينستين قائد الفرقة ٢١ الألمانية المدرعة فى حديث أفضى به عندما أسر « إن الصحراء هى جنة بالنسبة للرجل الذى يوجه العمليات ولكنها جهنم بالنسبة للرجل الذى يتولى الامداد والتموين » ولهذا كان من المدهش حقاً أن يستطيع الجنرال أوكنلك القيام بالهجوم فى نوفمبر عام ١٩٤١

ففى المدة من فبراير إلى نوفمبر كان المحور قد أفلح فى حشد قوة هائلة فى ليبيا مكونة من فرقتين مدرعتين المانيتين (١٥ و ٢١) والفرقة ٩٠ الخفيفة الألمانية ، وفرقة ايطالية مدرعة (آريتى) وسبع فرق ايطالية من المشاة (١٧ بافيا — ٢٥ بولونا — ٢٧ بارشيا — ٦٠ سابراطا — ١٠١ سابراطا — ١٠١ تريستا — ١٥٢ تورنتو (الاخيرتان ميكانيكيتان) ، وكل هذه القوات عدا الفرقة ٦٠ الايطالية قد نقلت بالبحر بين مارس ومايو عندما كان الاسطول الانجليزى مشغولا فى المياه اليونانية

ولم ينقل الالمان بين مايو ونوفمبر أى وحدات كاملة فقد كانت سفن المحور مشغولة بنقل التموين والذخيرة ومعدات الحرب ، وبالرغم من الخسائر التى تكبدها الانجليز فى اليونان فان الاسطولين البحرى والجوى دمرا ثلث أو نصف حمولة سفن المحور ، ونتيجة لهذا لم يستطع رومل منذ وقف فى ابريل ، أن يجمع قوة تكفى للهجوم قبل نوفمبر ، وبالرغم من طول خطوط مواصلات الانجليز فلا شك أنهم ربحوا معركة السبق فى الامداد ، لان هجوم اوكنلك فى ١٨ نوفمبر سبق الهجوم الذى كان يعده رومل بخمسة أيام . ولهذا يمكن القول بأن الهجوم الانجليزى قد أمسك بالألمان وأوضاع جنودهم

أكثر استعداداً للهجوم منها للدفاع ، فقد كانت كل قوات رومل تقريباً بما فيها قواته المدرعة، فى المناطق الأمامية ، وكانت له أربع فرق من المشاة عند طبرق أما احتياطيه العام ، المكون فقط من فرقتى تريستا وآريتى الايطاليتين فكان عند الهضبة الصحراوية العليا

وكان الجيش الانجليزى منظما للهجوم فى قولين أساسيين : الفيلق ١٣ تحت قيادة الجنرال جودوين اوستن وكان مكوناً من الفرقة الثانية النيوزيلاندية والفرقة الرابعة الهندية واللواء الأول من دبابات الجيش ، والقول الثانى من الفيلق ٣٠ تحت قيادة الجنرال توري وكان مكونا من الفرقة السابعة المدرعة والفرقة الاولى جنوب افريقيا ولواء الحرس ٢٢ . أما فى طبرق فكانت توجد الفرقة ٧٠ ولواء بولندى واللواء المدرع ٣٢

على أنه يحسن أن نتوقف قليلا للتحدث عن القوات المدرعة ، فى الفرقة السابعة المدرعة التى كانت ستحتمل عبء الاصطدام بمدرعات الألمان والطليان. كانت مكونة من ثلاث لواءات مدرعة عدا مجموعة الامداد السابعة التى كان يقودها البريجادير جوك كامبل الذى نال وسام صليب فيكتوريا فى المعركة ، وفى هذه اللواءات الثلاث كانت توجد ٤٥٥ دبابة منها ١٦٥ خفيفة (من النوع الذى لا يعتبر الآن أكثر من عربة استكشاف) والباقى من الدبابات المتوسطة. فاذا كان لزاما أن نضم إلى هذا كل دبابة كان يملكها الانجليز وجب إضافة ١٢٠ دبابة من طرازى ما تيلدة وفالانتين فى لواء دبابات الجيش و ٩٠ دبابة من ذات النوع فى اللواء ٢٢ المدرع الذى فى طبرق .. وبذلك يمكن القول أنه كان فى الجيش الثامن ٦٦٥ دبابة إزاء ٥٠٥ دبابة لدى المحور . ولكن المقارنة العددية تعطى صورة غير صحيحة ، فان أكثر من نصف دبابات الألمان كانت (مارك ٣ أو ٤) وهذه أقوى تسليحاً ودروعاً مما كان لدى الانجليز فى

ذلك الوقت ، ولم يكن فى الدبابات الانجليزية أى مدفع أثقل من المدافع ٢ رطل بينما كانت الدبابات الألمانية لا تطلق مدافعها قنابل أقل من اربعة ارطال ونصف واثقل قنابلها زنة ٨٣ رطل ، والجرأة والمهارة لا توضع موضع المقارنة لاعطاء أفضلية فى قوة الضرب ،ولهذا فان نجاح الجيش الثامن فى هزيمة قوات المحور المدرعة يعتبر معجزة أساسها الشجاعة البشرية والقدرة العملية ، وكان على الفيلق ٣٠ أيضاً واجب حماية الجنب الأيسر للفيلق ١٣ غير المدرع. فاذا أسقطنا من حسابنا الفيلق ١٣ والدبابات التى فى طبرق، لا يمكن القول بان الفيلق ٣٠ كان فى قوة تمكنه من القيام بواجبه المزدوج

ولا يمكن أن يكون الحديث عن المعركة كاملا إذا أغفلنا محاولة ارباك المحوريين بالإغارة على مركز رياسة رومل الذى كان على بعد ٢٠٠ ميل الى الخلف، وقد ألقى عبء هذا على عاتق الكولونيل كيس والكولونيل (الآن ميجر جنرال) لا يكوك وخمسة ضباط آخرين ثم ٥٣ صف وعسكرى. وقد نقل هؤلاء فى الغواصتين (ثوربای وتاليزمان) على طول الساحل إلى مكان عين للنزول ، وقد كان الجو خشنا ولكن مع هذا أمكن انزال كيس ولا يكوك وضابطين ثم أغلب الصف والعساكر فى المكان المعين حيث بقى لايكوك وثلاثة من الجنود ،وبدأ كيس والكبتن كامبل والملازم كوك و٢٥ صف وعسكرى رحلتهم الى مركز رياسة رومل فى بيدا ليتوريا على مسافة ١٨ ميلا. ولم يكن العمل هينا ولاسيما فى جو مخيف ولهذا لم يلبث الادلاء العرب أن رفضوا المسير وكان على كيس ورجاله أن يتابعوا السير وحدهم حتى وصلوا إلى قرابة الاميال العشرة من بيدا ليتوريا وهنـــا التقوا بنفر من الأعراب أخبروا كيس بأن مركز رياسة رومل ليس فى بيدا ليتوريا بل فى سيدى رافع، ولحسن الحظ صدق كيس هذا النبأ وصحبهم الى قيد مئات الياردات من المنزل ...

وأعد كيس الجماعات السائرة ونظم كل شيء ثم قبع منتظراً ساعة الصفير — الدقيقة الاخيرة قبل منتصف الليل — وفى تمام الوقت بدأ كيس وكامبل وضابط صف واحد عملية اقتحام المنزل ولكنه لم يجد أى طريق خلفى ، كانت الأبواب والنوافذ محكمة لا يمكن انتزاعها دون ضجة ولكن كيس سار بجرأة إلى الباب الامامى وطرقه بقبضة يده ثم صاح بالألمانية طالبا الدخول .

ولم يكد الحارس يفتح الباب حتى أطلق كيس عليه الرصاص ثم قفز من فوق جثته إلى الداخل ، وكان الامر يتطلب العمل بسرعة قبل أن يحزر الألمان بأن المهاجمين ثلاثة فقط ، وفى الغرفة الأولى فى الطابق الاسفل كان جمع من الضباط والجنود ، وعندما أطلق كيس الرصاص من مسدسه بسرعة ، بعث كامبل بقنبلة يدوية إلى وسط الغرفة ... وبقى الجاويش تيرى يسيطر على السلم الذى يصعد الى الطابق العلوى ببندقية التومى فحال بين جمع غفير من الضباط كان يندفع هابطا إلى الطابق الأرضى ، وفى الغرفة الثانية كان النور مطفأ ولكن كانت الأنفاس التى تلهث تدل على وجود أشخاص بالغرفة ، وعندما فتح كيس الباب قوبل بسيل من الرصاص فسقط إلى الارض ، وأفرغ الجاويش تيرى بندقية تومى وسط الغرفة ، وقذف كامبل بقنبلتين يدويتين ثم حمل الرجلان السكولونيل كيس إلى الخارج حيث مات بعد دقائق قليلة ، وجاءت الجماعات السائرة فقذفت النوافذ بقنابل اليد ، وإذ ذاك كان الألمان قد أربكوا تماماً ... وفى غمرة الرصاص المتبادل كسرت ساق كامبل فتترك مكانه بعد أن اطمأن إلى أن الآلة التى تزود رياسة روميل بالكهرباء قد نسفت .

ولا شك أن الغـــرض الاساسى من الإغارة لم يتم ، لأن روميل لم يكن بالمنزل آنذاك إذ كان فى حفل لعيد الميلاد ، ولـكن مركز الرياسة — دون جدل .. أربك تماماً ،فقد قتل منه عدد كبير بينهم أربعـــة من كبار ضباط أركان الحرب الالمان . . . وقد ووريت جثثهم التراب إلى جانب جثمان الكولونيل كيس .

وقد جاء فى رسالة أخيرة بعث بها كيس إلى انجلترا : (فاذا نجح العمل سواء عدت أو لم أعد ،فانها ستزيد من قوتنا وستساعد قضيتنا) ، و يمثل هذه الروح العالية بدأ الجيش الثامن المعركة ..

الفصل الثانى

المعـــركة تبدأ

الصعاب فى سبرى رزبى

كانت خطة الجيش الشامل أشمل وأوسع مما يبدو ، فان الغرض الذى عين لقائده (الجنرال كننجهام) كان أن يطرد المحور من برقة ، ولإدراك هذا الغرض رأى أن يدور بالفيلق ٣٠ فى دورة واسعة من منطقة مادلينا ثم للشمال نحو طبرق، على أن يخرج قوات العدو المدرعة الى المعركة ويمزقها ، فاذا فعل الألمان بمدرعاتهم ما أريد منهم أن يفعلوا ، كان على الفيلق ١٣ أن يقوم بالهجوم للشمال لعزل البردية والسلوم ، فاذا انتصر الفيلق ٣٠ على قوات العدو المدرعة بعث قائده بالاصطلاح المتفق عليه لقوات طبرق لتخرج من مواقعها المحاصرة ، وبين المطارق الثلاث يمكن أن تدمر قوات المحور عن آخرها .

وسار العمل فى البداية سيراً حسنا ، وقد فوجىء الألمان بهجوم الفيلق ٣٠ يوم ١٨ يناير وبقى رومل ثمانية وأربعين ساعة وهو يظن أن الانجليز يقومون باستكشاف على نطاق واسع ، على أن هذا الخطأ لم يكن فى جملته خطه ، إذ كان سببا فى عدم تقبله المعركة على الفور — كما كان مقصوداً — — وقد ظن أن التقدم السريع إلى قبر صالح (٩٠ ميلا) كاف لإثارته ولكن

الواقع أن هذه الارض لم تكن لها أهمية كبيرة بالنسبة له (كان الاصلح لو سار الجيش الثامن مباشرة إلى العدم أو سيدى رزيق حيث كان رومل يرغم على القتال لأول وهلة) وتم التقدم فى اليوم الاول تحت ساتر من طائرات القتال دون أى حادث

وفى الصباح التالى قرر كانينجهام الذى كان يتحرك مع مركز رياسة الفيلق ٣٠ (لاحظ تواجد القائد فى ميدان القتال وأهمية هذا فى سرعة سيطرته على الموقف) أن تتابع القوات المدرعة تقدمها للشمال الغربى ونتيجة لهذا اشتبك اللواء الرابع المدرع مع نحو ستين دبابة المانية عند بير جبنى وقاتل اللواء الثانى المدرع فى معركة عند بير الجوبى دمر فيها ٤٥ دبابة المحور أغلبها ايطالية .

وقرب الظهر بدأت الفرقة الأولى (جنوب أفريقيا) تحركها للشمال نحو الدودة ، واندفع اللواء السابع المدرع بعد الظهر بجرأة إلى سيدى رزيق حيث احتل ألاى الدبابات السادس المطار ونجح فى تدمير ١٩ طائرة من ٣١ كانت به ، وبالكاد أفلحت طائرتان فى الهرب .

وادرك رومل أن عملية الفيلق ٣٠ هى هجوم واسع المدى . ولهذا قرر أن يجمع بين الفرقة ٢١ بانزر وفرقة آريتى غربى بير الجوبى ، على أن يتقدم بهما للشرق فى الوقت الذى تتقدم فيه الفرقة ١٥ بانزر للغـــرب من منطقة سيدى عمر ، وبهـــذا الاتصال يمكن إفناء القوات الانجليزية المتقدمة . ونتيجة لهذه الاتصالات حدثت معركة سيدى رزيق الاولى

وبينما كان رومل يوم ٢٠ نوفمبر يجمع أمره كان الفيلق ٣٠ يقوى مواقعه فى سيدى رزيق ، وفى الصـــباح صد اللواء السابع والمدفعية الخيالة الملكية هجوماً مضاداً للعدو قصد به الى اعادة الاستيلاء على المطار ، ووصلت

مجموعة الامداد السابعة بعد ساعات قليلة إلى سيدى رزيق ، وقد وجد أن العدو يحتل الهضبة بقوة كبيرة ولكن كان الاعتقاد قوياً بأنه يمكن التغلب على دفاعات العدو. ولهذا ارسلت الاشارة لحامية طبرق لبدء الخروج فى الصباح التالى ، وفى هذا الوقت كان اللواء الخامس من جنوب أفريقيا (فى طريقه لانقاذ طبرق) قد عطل من تقدمه هجوم العدو الجوى وصعوبة التحرك ليلا فى الصحراء المعدومة الاغراض الارضية)

وفى الصباح الباكر بدا أن قوات كبيرة للعدو تتحرك من الجنوب لمهاجمة سيدى رزيق ، ولكن رغم هذا تابع جنود البريجادير كامبل عملهم لتطهير الهضبة الشمالية والتقدم عبر طريق كابوتزو ، للاتصال بقوة طبرق عند الدودة ، وقامت كتيبة البنادق الستون وسرية من لواء البنادق باقتحام الهضبة وحاول ألاى الدبابات السادس اجتياز الدرب ولكن كل الدبابات التى قامت بهذه المحاولة دمرت . وأثناء ذلك كان الالمان يتقدمون بسرعة من الجنوب ، وإن كان هذا التقدم قد اوقف بجرأة ، بواسطة اللواء السابع المدرع الذى كان قد تناقص إلى عشرين دبابة فقط . وبمجموعة الامداد التى يقودها البريجادير كامبل . وأخيراً أمكن إلى حد ما ابقاء المراقع الانجليزية متصلة بسبب جرأة كامبل وقيامه وهو فى عربة مكشوفة بالهجوم المضاد بالاثنتى عشرة دبابة الباقية من الألاى السادس وبعض المدفعية الخفيفة الحركة والمضادة للدبابات .

وجاء صباح الثانى والعشرين والموقف — على ما يبدو — أحسن حالا. فقد وصل اللواءان الرابع والثانى والعشرون المدرعان . واستطاع الجنرال جوت (قائد الفرقة السابعة المدرعة) أن يهيىء لها مكانا فى ساحة المعركة يمكنها من معاونة مجموعة الامداد السابعة ، وكانت كتيبة ترنسفال الاسكتلندية (من

لواء جنوب افريقيا) قد اقتحمت الهضبة الجنوبية قبل ذلك وباتت تشرف على مطار سيدى رزيق . وقبيل المساء بدأت معركة بين الدبابات: الالمان يحاولون الوصول الى مجموعة الامداد السابعة ، واللواءان الرابع والثانى والعشرون يصدانهم للوراء ... وقد أمكن إيقاف الالمان عند الغسق، ولكنهم استطاعوا — أثناء الليل — أن يحشدوا دباباتهم الباقية وأن يتابعوا الهجوم عند شروق الشمس وبذلك ارغموا مجموعة الامداد السابعة — رغم ما تكبدوا من خسائر فادحة — على أن تجلو عن مطار سيدى رزيق

وأثناء هذا ، كان اللواء الخامس من جنوب افريقيا يحتشد ويعد مواقعه على الهضبة الجنوبية ، مستنداً إلى ما بقى من دبابات اللواء ٢٢ المدرع. وفى صباح الثالث والعشرين قام الالمان مرتين بالهجوم بالدبابات وفى المرتين أمكن صد الهجوم ، وجاء المساء المبكر بهجوم عنيف بالمشاة والدبابات تحت ساتر من غلالة نيران المدفعية، وأمكن أيضاً صد هذا الهجوم، ولكن فى اللحظة التى ظن فيها جنود جنوب افريقيا أن العدو قد اكتفى بما لقى فى يومه ، بدأ الالمان الهجوم ثانية بمشاة من راكبى السيارات ومدفعية قوية وبحوالى ١٠٨ دبابة وقد خسر الالمان ٥٢ دبابة فى هذا القتال العنيف ولاشك أن هذه المقاومة القوية كان لها أثرها فى سير المعركة بعد ذلك، ولكن عندما تبددت سحب الاتربة التى غطت ميدان المعركة بدا أن لواء جنوب أفريقيا الخامس قد بات أسطورة فى التاريخ وأنه لا وجود للقوة التى كان يجب أن يجدها الفيلق ٣٠ لتصل بينه وبين القوات التى تخرج من طبرق .

ولكن كان الخروج من طبرق قد بدأ، فقد اجتذب اللواء البولندى بجرأة انتباه العدو الى الطرف الغربى للنطاق الدفاعى ، وفى بكورة يوم ٢١ بدأت الفرقة ٧٠ الخروج من الطرف الشرقى مسبوقة بالبلاك ووتش وبكتيبة

مدافع ماكينة من النور ثمبر لاند فوزيليير تعاونهما بعض الدبابات، وبخسارة جسيمة استطاعت حاميـــة طبرق أن تصل الى منتصف الطريق إلى الدودة ممسكة بألف أسير..

* * *

ولعله قد آن الوقت لنتحدث عن عمليـــات الفيلق ١٣ الذى كان يقوم بالهجوم للشمال من الحدود المصرية بقصد عزل قوات المحور الكبيرة التى حول البردية والسلوم. وكان المقرر أن هذه الضربة لا توجه حتى يكون الفيلق ٣٠ قد قام بجزء كبير من عمليته، إلا أن عملية الفتح الاولية أدت الى بعض عمليات جريئة، ففى ليلة ١٩/ ٢٠ نوفمبر استولى بعض النيوزيلانديين على قلعة كابوتزو واحتلوا سيدى عزيز، وقطع آخرون بمعاونة آلاى الهوزارس الثـــامن والدبابات الملكية ٤٤، الطريق وخط أنابيب الميـــاه بين البرديه وطبرق وأمسكوا بأربعمائة أسير. كما احتلت قوة أخرى مساعد وثكنات السلوم فى ليلة ٢٠/ ٢١ نوفمبر

وفى منتصف يوم ٢٢ هاجم اللواء السابع من الفرقة الرابعة الهنديه قلاع سيدى عمر على الحدود، واستولت كتيبة رويال سسكس على (عمر الجديدة) ولكن عندما اجتازت كتيبة البنجاب ١٦ الموقع لاحتلال عمر الليبيـــه، تكبدت الدبابات التى تصحبها خسائر فادحة من الالغام والمدفعية المضادة للدبابات واستولى المشاة وحدهم على الجزء الشرقى من الموقع، وانهت كتيبتا البنجاب الاولى والسادسة عشرة العمل كله بعد عشرة أيام

وفى يوم ٢١ بدأ الفيلق ١٣ الجزء الرئيسى لعملياته. فقد استـــولى النيوزيلانديون على جامبلات ولـــكنهم اوقفوا بعد ذلك بواسطة القوات المحورية التى ارسلت (من محاصرى طبرق للدفاع عن طريق البردية) وكان

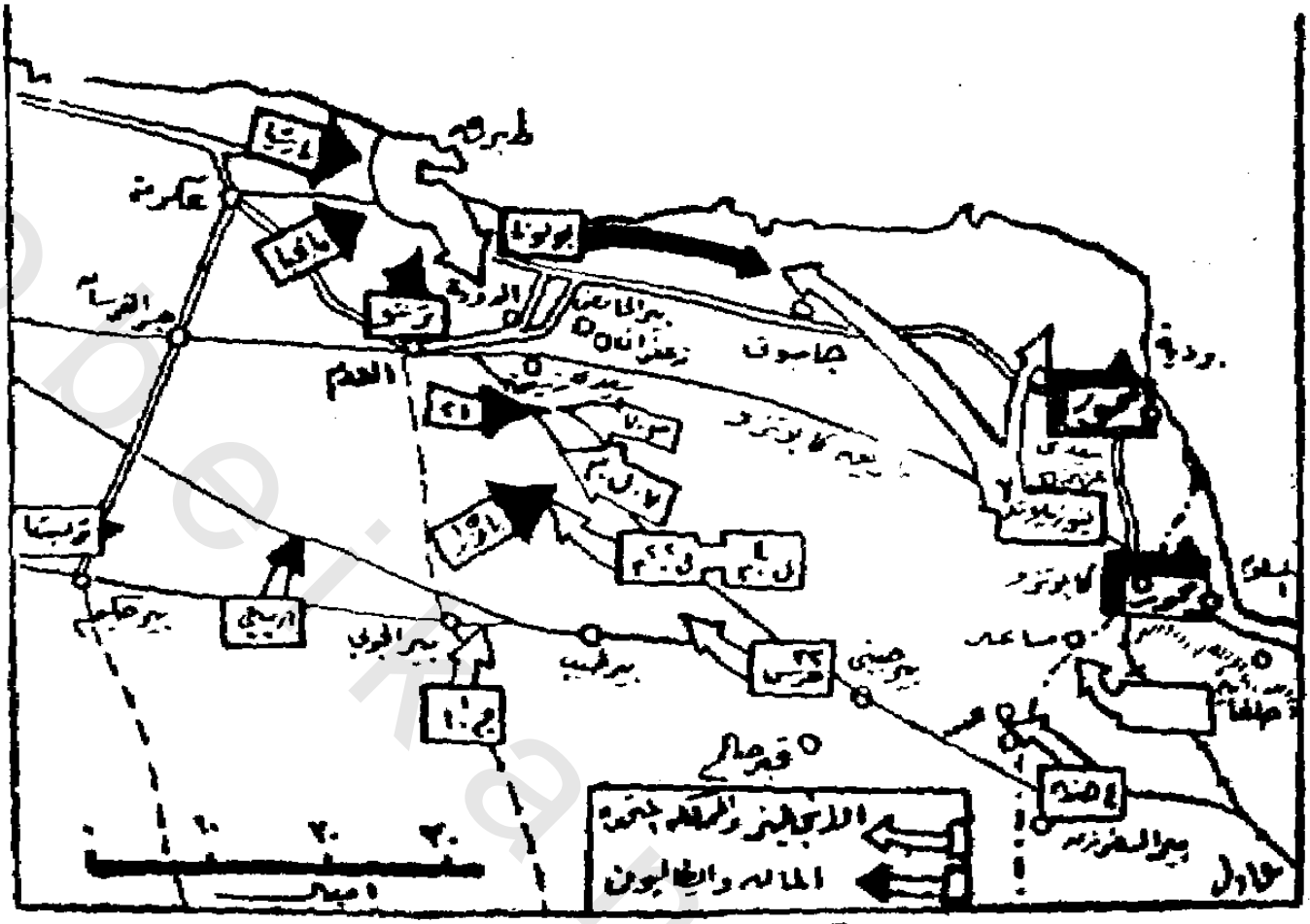

التوقف عند سيدي رزيقه

معنى هذا أنه لن يوجد أى اتصال بين القوات التى ستخرج من طبرق والفيلق ١٣

وفى مساء يوم ٢٤ وصلت المعركة إلى مرحلة لا تبعث على التشجيع فقد أوقفت عملية خروج القوات من طبرق واوقف النيوزيلانديون وضاعت سيدى رزيق وبير الحامض كما تمزق اللواء الخامس (جنوب افريقيا) وجزء كبير من القوة التى لا تقهر (مجموعة الامداد السابعة) وقد استطاع رومل أن يوجد الاتصال بين فرقتى البانزر ٢١ وأريتى المدرعة فى جنوب شرق طبرق ، وهذا الوضع يمكنه من افناء كل القوات الامامية للانجليز .

على أن الدرس الذى يمكن أن نخرج به من القتال فى هذه الايام الخمسة هو أن المشاة مالم تكن مجهزة تماما لمواجهة الدبابات لاتكون فى هذا النوع من قتال الصحراء أكثر من وسيلة للاقلاق . فالمواقع المكتسبة لا يمكن أن تعزز وأن تحتل بجنود لا يزيد تسليحهم عن بضعة مدافع مضادة للدبابات ٢ رطل مع كل كتيبة ولا سيما إذا كانت الوحدات لم تقطع شوطاً كبيراً فى التدريب على حرب الصحراء ، ونتيجة لهذا سلمت دبابات الجيش الثامن إلى المشاة لوقايتهم من سحق مدرعات العدو لهم ، ولم تترك هذه الدبابات للقيام بواجبها الاساسى

الأمر الآخر هو أن المحوريين بدأوا المعركة بخمسمائة دبابة وقد ظن أن ما يتبين من هذه الدبابات قد دمرت ولكن الواقع أن هذا لم يكن صحيحاً بالمعنى الكامل لكلمة «دمرت» . ذلك أن الجنود كانوا يعرفون تماماً أنه يجب عليهم تدمير أى دبابة للعدو يهجرها طاقمها فى الميدان عند تعطلها ، ولكن السيطرة الوقتية التى كان ينالها العدو بمدفعيته لم تمكنهم من تطبيق هذه التعاليم تماما ، وبذلك تمكن الألمان بواسطة التنظيم الدقيق للنجدة والاصلاح من اصلاح

الكثير من دباباتهم .

والشيء الثالث هو أن الالمان كانوا يستخدمون دبابات مارك ٣ المجهزة بمدفع عيار ٥٠ مم ، ومارك ٤ المسلحة بمدفع عيار ٧٥ مم والأولى عامل قوى فى حرب المدرعات أما الثانية فاستخدموها — أساسيا — كدبابة تعاون ضد المشاة ، وقد ثبت أن الدبابات مارك ٣ بمدافعها عيار ٥٠ مم أقوى من الدبابات البريطانية المسلحة بمدفع عيار ٢ رطل فهى تستطيع تدميرها من مدى ميل واحد ، ولهذا فان مدرعات الانجليز حتى هذا الدور من المعركة كانت خصما عنيداً بالنسبة للدبابات الخفيفة ولكن كل ما كان باقيا لدى الألمان من مدرعات كان من الدبابات الثقيلة التى لم يكن لدى الانجليز ما يمكن أن يواجهها

وكانت كل هذه الاعتبارات تبدو إذ ذاك أمام عينى الجنرال كننجهام قائد الجيش الثامن الذى كان قد نال شهرة كبيرة بسبب جرأته ، فى حملة الحبشة — عندما قاد الجيش من جوبا إلى أديس ابابا — وصادف تعيينه لقيادة الجيش الثامن ترحيباً خاصاً من قوات جنوب أفريقيا ، ومن المصادفة المدهشة كان أخوه يقود الاسطول وكان قائد القوة الجوية اسمه كوننجهام . ولهذا نشر رسم كاريكاتورى — فى بدء المعركة — لعربة كتب تحته (كننجهام — كننجهام — كوننجهام منعهدو ازالة) !! وفى هذا ما يدل على الامانى الطيبة للحلفاء التى كانوا يعلقونها على اجتماع هؤلاء الكننجهامات الثلاثة !

ولم يكن الجنرال كننجهام بالرجل الذى يصدر أمره بالتوقف بلا سبب فقد كان حاول جهده لتنفيذ خطة الجنرال اوكنلك ، ولكنه كان قد وصل الى رأى ، هو أن هذه الخطة لا يمكن أن تتم ، وأن هذه العملية يجب التخلص منها وأن القوات يجب أن تسحب الى الوراء لإعادة التجمع والتنظيم .

وليس شيء أخطر من أن توكل ادارة معركة إلى قائد لا يؤمن بأنه سيربحها ولهذا فان الجنرال اوكنلك — بعد زيارة شخصية لمركز الرياسة الامامى — قرر أن يكل قيادة الجيش الثامن إلى نائب رئيس أركان حربه الميجر جنرال ريتشى الذى كان قد قام بنصيب فى كل التخطيط الاصلى وكان مشبعاً بوجهة نظر اوكنلك وأسلوبه التفكيرى.

كان لابد - إذا أريد إكمال المعركة. واذا كانت هناك أقل فرصة للنجاح - من معالجة اعتبارات أخرى كثيرة أخرى - فقد كان تموين مالطة فى ذلك الوقت قد انخفض مستواه، وكان تملك مطارات برقة — حيث يمكن منها حراسة القوافل — غرضاً ضرورياً علاوة على أى أغراض أخرى يمكن وجودها

وقد أثبتت الحوادث ان الجنرال اوكنلك كان على حق عندما أكد أن النصر كان لا زال فى الإمكان الحصول عليه، وقد ضرب المثل الحسن على أن شخصية القائد لا يزال لها تأثيرها فى الجيش الحديث.

الفصل الثالث

توجيه جيد للهجوم

انقاذ طبرق

فى الرابع والعشرين من نوفمبر كان الألمان واثقين من النجاح ، ولكن عندما فوجئوا بهجوم ناجح للفيلق ١٣ وحامية طبرق ، بدأ رومل القيام بحركة عنيفة ولكنها على طراز آخر من الحركة التى كان يقوم بها إذ ذاك قول طيار مكون من آلاى البنجاب الثانى وآلاى السيارات المدرعة الثانى (جنوب أفريقيا) فى أقصى الجنوب ، للدوران حول مؤخرة الألمان حيث أمكن احتلال العجيلة ثم واحة جالو ... وكان غرض رومل هو ارباك مؤخرة الجيش الثالث وبذلك يوقف هجومه تماماً ، ولهذا فانه بعد أن جمع كل ما استطاع أن يقتصده من المدرعات ، بعث بقولات كثيرة من الدبابات والعربات والمدفعية ، وسط خطوط الانجليز ، فى صبيحة الرابع والعشرين. وقد اندفعت هذه القولات إلى الحدود المصرية ثم دارت للشمال فى جبهة واسعة ، مطلقة النيران على كل ما صادفها واختلطت القوات بدرجة كبيرة ولم يكن من المستغرب أن تجد بوليساً حربياً انجليزيا ينظم المرور لقوة المانية خطأ ظناً منه أنها انجليزية . وقد أطلقت النيران على مركز رياسة الفرقة الاولى المدرعة من مرمى قصير ، وامكن الاحاطة بمركز رياسة الفرقة السابعة

المدرعة التى كان معها قائد الفيلق ٣٠ ، فأرغمت على أن تقاتل لتشق طريقها فى الظلام ، وبعثرت قولات التمون قرب بير السفرزن ومادلينا ، ومريومان فى قلق ... ولكن نظراً للروح القوية وللاندفاع نحو الألمان والايطاليين اينما وجدوا ، ثم بالمعاونة المستمرة التى قدمهـا السلاح الملكى ، امكن السيطرة تدريجياً على الموقف ، وبذلك فشل العدو فى إدراك غرضه ، وبعد أن تجمعت بقية قوات العـدو وتحركت للشمال الغربى لضرب مؤخرة النيوزيلانديين الذين كانوا يتقدمون إذ ذاك على طريق كابوتزو

إلا أن وصول قوات المحور إلى المنطقة الأساسية للمعركة جاء متأخراً وإن كانت قد استطاعت أن تتقدم من منطقة الحدود ، الكثير من الدبابات والمشاة الألمان الذين لولا هذا المدد الجديد لكانوا قطعوا نهائياً عن القوات الألمانية الأساسية ولكن فى ليلة ٢٥/٢٦ نوفمبر استعادت كتيبتا النيوزيلانديين (١٤ و ٢٦) سيدى رزيق كما اسـتعادت كتيبتان أخريان (١٨ و ٢٠) بير الحامض . وفى اليوم التالى — ٢٦ — اجتازت حامية طبرق آخر خط للحصار ودمرت أغلب وحدات فرقة بولونا واحتلت الدودة

وفى بكورة الصباح التالى تم الاتصال بالنيوزيلانديين وتم بهذا الم. تقسيم قوات المحور . فى الغرب الفرقة ١٥ بانزر ومشاة الالمان الذين جى. بهم من منطقة الحلفاية ، وفى الشرق الفرقة ٢١ بانزر وفرقة آريتى . وحاول القول الألمانى المغير التدخل فى المعركة لانشاء ممر للقوات الألمانية .. لكنه دفع بعيداً بواسطة اللوائين المدرعين ٤ و ٢٢ وحاول هذا مرة ثانية يوم ٢٨ ولكنه دفع ثانية للجنوب الشرقى بعـد قتال عنيف ، وحدث يوم ٢٧ أن سقطت قنبلة على منضدة تتوسط عدداً من الضباط اركان الحرب الألمان كانوا يدرسون العملية على طريق كابوتزو ، فقتلتهـم . ولعل هذا كان سبب

الاضطراب الذى حدث فى اليوم التالى ، وفى هذا اليوم نفسه أمسك الانجليز بأول — وليس آخر — جنرال المانى هو فون رافينستين قائد الفرقة ٢١ المدرعة .

وكان من الواضح إذ ذاك أنه من الضرورى أن يعبر العدو الممر . وفى الثلاثة الأيام التالية ظل يحشد كل شىء لإدراك هذا الغرض — وقد استطاع الألمان يوم أول ديسمبر أن يصلوا إلى هذا فانضمت الفرقة ١٥ بانزر ومعها قوة كبيرة من المشاة راكبى اللوريات إلى الفرقة ٢١ بانزر ، وفى هذا القتال تكبدت الفرقة النيوزيلاندية خسائر فادحة ، الأمر الذى استدعى سحب بقيتها إلى باجوش لاعادة تنظيمها ، ولم يتقدم اللواء الخامس إلى أبعد من طبرق ولم يقم بنصيب ما فى العمليات التالية .. ولكن بعد ثمانية عشر شهراً نال النيوزيلانديون نصراً انتقامياً ، عندما سلمت لهم الفرقة ٩٠ الألمانية فى زغوان فى الساعات الأخيرة من الحملة التونسية .

وفى ذلك الوقت بدا النصر واضحاً فى اللحظة التى ظن أنها لحظة الهزيمة . ولم يكن هذا لمعجزة ولا لحادث طارىء ، وإنما كان نتيجة استخدام وسيلة قتال جديدة استخدمها جيش النيل لأول مرة فى عام ١٩٤٠ وثبت نجاحها ، وهذه الوسيلة هى التى تعرف باسم قول (جوك) نسبة إلى البريجادير جوك كامبل الذى كان اخصائياً فى استخدام هذه التشكيلات ، ويتكون قول (جوك) من بطارية من المدفعية وقسم من المشاة وبعض مدافع مضادة للدبابات والعربات المدرعة مع الحمولة الضرورية للقوات المترجلة وللتموين والوقود ، وهذه القولات التى شكل عدد منها ، كانت تعمل فى أى مكان مستقلة تمام الاستقلال ، وهى تؤثر بدرجة كبيرة فى خطوط تموين العدو كما كانت لجرأتها النادرة تعطل عدداً كبيراً من الفرق عن الاشتراك فى المعركة الاساسية . وكان هذا —

ولا شك — مساعدة قيمة ، على أنه قد وجد أخيراً أن هناك خطورة فى الاكثار من هذه القولات ، لأن القوات تكون موزعة فى اللحظة التى تتطلب حشد القوات لمعركة كبرى : أما فى معركة نوفمبر وديسمبر ١٩٤١ فقد قامت هذه القولات بخدمات جليلة ، ولاشك أنه كان لها نصيب كبير فى التردد الذى بدأ يظهر فى صفوف العدو ، وانتهز رومل فرصة الجو السيء يوم ٢ ديسمبر . فبدأ يسحب مشاته وحملته نحو الساحل والطريق الساحلى ، وكان معنى هذا الحشد إما هجوم جديد للعدو أو تقهقر جديد له ، ولكن على أى الحالين فقد قوبل الألمان بضربات قاتلة إلا أنه يظهر أن الألمان كانوا يظنون أن الانجليز تكبدوا خسائر أكثر مما لحقهم هم ولهذا فان أول ما استخدم فيه رومل حشده هذا هو محاولته الاحاطة بالقوات التى فى بير الجوبى كما ارسل قواته الخفيفة لقطع قوات بير الجوبى عن قاعدتها ، ولكن بالرغم من هذا فان قوات بير الجوبى كانت قادرة على القتال وكان السلاح الجوى على أتم أهبة لمعاونتها . ففى الثالث من ديسمبر ضربت تشكيلات رومل فى منطقة سيدى رزيق بعنف ، كما هاجم اللواء الهندى بمعاونة اللواء الرابع المدرع القوات التى تحيط ببير الجوبى من الخلف ودفعها للشمال الغربى ، كما مزقت قوات أخرى قولات العدو فى نقطة غير هذه ، وكذلك عزل هجوم العدو على الدودة أو صد بهجمات مضادة محلية ، وجاء اليوم التالى بنفس قصة هذا النجاح المحلى . ونفض رومل يديه من أطماعه هذه وارتد لغرب خط من بير الجوبى إلى جنوب العدم

وكان معنى هذا أن انقاذ طبرق قد تم . وفى السابع من ديسمبر اتصلت دوريات حامية طبرق بوحدات من فرقة جنوب أفريقيا الثانية والهوزارس الحادى عشر التى كانت تتقدم على طريق البردية ـ طبرق وفى اليوم التاسع احتلت قوات من طبرق العدم واتصلت بفرقة جنوب أفريقيا الاولى واللواء السابع

الهندى، وانتهى بهذا تطهير المنطقة كلها من الحصار فيما عدا الهضبة الغربية التى لبث العدو بضعة أيام متشبثا بها

على أنه ظهر إذ ذاك أن العدو ينقهقر تماما نحو الغزالة . وفى الثانى عشر من ديسمبر وصل الالمان تحت ستار ساقة تتكبد خسائر فادحة الى خط يمتد للجنوب الغربى من الغزالة ، ولكن هذا الموقع لم يكن جيداً ، فان الجنب الايمن كان فى الهواء ولم يكن لديه أكثر من خمسين دبابة لتغطية هذا الجنب وكان كذلك يطارد بقوة وفى مطاردة متصلة فلم يكن فى استطاعته أن يتخلص من المطاردة ولهذا فقد توقف للقتال خمسة أيام متوالية يمكن أن تكون فى مجموعها معركة الغزالة الاولى. ونجحت التحركات حول الجنب المعرض، التى قامت بها الفرقة السابعة المدرعة نجاحاً ملحوظاً . وفى الرابع عشر من ديسمبر أفلح البولنديون واللواء الخامس النيوزيلاندى فى شق ثغرة فى منتصف خط العدو ثم أتموها فى اليوم التالى . وبالرغم من الهجوم المضاد العنيف الذى قام به مشاة المحور مصحوبة بما بقى من الدبابات وبمعاونة ستارة جوية قوية ، بقى النيوزيلانديون فى مكانهم وقرر قائد الفرقة فى المساء أن الموقف يبعث على الطمأنينة .

وهكذا تم اختراق خطى رومل وأمكن ثنيهما للخلف ، ويحتمل أن يكون رومل قد ترك فى ميدان المعركة قوة لا تزيد عن حوالى ٣٠ دبابة و ٣٠٠٠ عربة و ٣٥٠٠ من المشاة منهم ٢٠٠٠٠ من الايطاليين ، وكانت له قوة مدرعة على خط التقهقر عند التميمى وقوة أخرى موزعة تقطع الطريق الذى يخرج من درنة ، ولم تكن له قوة جوية كافية ولهذا كان غرضا جيدا للهجوم الجوى المستمر .

وقد قال الجنرال مونتجومرى عن رومل أنه قائد جيد ولكنه يكرر

أعماله دائماً . ففي ذلك الوقت بدأ رومل التكتيكات التي كررها بعد ذلك كلما وجد نفسه في مأزق ، وهي الخاصة بانقاذ الالمان على حساب حلفائه البائسين

ففي ليلة ١٦/١٧ ديسمبر بدأ تنفيذ قراره هذا . إذ بلغت الفرقة السابعة المدرعة عن قول كبير تحرسه الدبابات يتحرك للخلف نحو التميمي ، وتركت القوة الصغيرة التي كانت في التميمي مكانها لعمل الساقة ، وفي منتصف يوم ١٧ ديسمبر كان هذا القول يقترب من درنة ، على أن ستارة الايطاليين التي كانت تحرس المؤخرة كانت تتقهقر بسرعة ولهذا صارت المعركة عملية مطاردة ، وفي أثناء ذلك اندفع اللواء النيوزيلاندي الخامس والبولنديون إلى التميمي ، والفرقة الرابعة الهندية الى مرطوبة وبذلت الفرقة السابعة المدرعة ومجموعة لواء الحرس مجهوداً كبيراً بالتدخل في انسحاب العدو بالاندفاع نحو بنغازي عن طريق المخيلي — شروبه — الابيار

وكان الانجليز في الواقع يفتقرون إلى حملة ميكانيكية كبيرة لمواجهة هذه التحركات السريعة البعيدة المدى ، وانقلب الجو فجأة وسببت الاتربة تعمية السيارات في البداية ، ثم عطلت منها هي والمدرعات عدداً وبذلك استطاع رومل أن ينقل أغلب جنوده ، وأن يعود بهم إلى منطقة اجدابية ، ومع هذا ، فان المطاردة نالت بعض الثمار الجيدة ، فقد نجحت كتيبة السيخ الحادية عشرة في الوصول لمطارات درنة فجأة ، فاستطاعت تدمير اكثر من مائة طائرة على الارض والإمساك بعشر طائرات نقل من اثنتي عشرة طائرة نزلت الى المطار وهي لا يداخلها الشك في أنه لازال في يد الالمان ! واستطاعت كتيبة راجبوتانا رايفلز أن تعبر الأراضي المقفرة وتمسك بألف أسير في جيوفاني بيرتا ، كما أمكن الداورية الصحراوية البعيدة المدى المكونة من فدائيي الشرق الاوسط بقيادة الكبتن (الآن ليفتينانت كولونيل) دافيد ستيرلنج ، القيام باغارتين

موقفتين على مطارى سيرت واجدابية ودمرت فيهما ماجملته ٦١ طائرة ، ولكن على العموم يمكن أن يقال أن صعوبة التموين حالت دون استثمار الانجليز لنجاحهم فى المطاردة .

وفى يومى ٢١/٢٢ ديسمبر تلقى رومل إمدادات كثيرة من الدبابات من طرابلس بالبحر ، فبدأ يرسل قوات مدرعة الى منطقة اجدابية وبدأ يعد العدة للهجوم المضاد ، ومن أجل هذا أخلى بنغازى التى احتلتها كتيبة الدراجون فى مساء يوم ٢٤ ، فلما تقدمت القوات البريطانية نحو المواقع الدفاعية فى اجدابية ، وجدت الالمان فى قوات كبيرة ، ولهذا لا يمكن البتة أن يوجه أى لوم للقوات التى فشلت فى سحق قوات رومل الاساسية فى منطقة أجدابية

وفى يوم عيد الميلاد كانت الفرقة الرابعة الهندية حول بنغازى ووصل اللواء ان ٢٢ المدرع والثانى عشر لانسرز الى سانو ، أما مجموعة لواء الحرس فكانت مشتبكة بالعدو فى شمال وشرق أجدابية ، كما كان جزء من مجموعة الامداد السابعة والهوزارس الحادى عشر وآلاى الدبابات الثالث فى منطقة عنتيلات . أما بقية مجموعة الامداد السابعة فكانت فى سولوك ، وكان معنى هذه التوزيعات أن لا مشاة بقرب ميدان القتال وحتى القوات المدرعة لم تكن فى قوة تكفى لمعركة هجومية كبرى ، وكان القتال حتى نهاية العام عنيفاً جداً ولكنه كان محلياً وغير حاسم

وكانت مشكلة الإمداد والتموين كافية لتوضح سبب قلة القوة الانجليزية على الحدود الغربية ، وكان من الواضح أيضاً أن هذه المشكلة ستظل قائمة إلى أن تعدميناء بنغازى للعمل . ولكن من ناحية أخرى كان من المنطق والاصلح أن تحشد القوات للشرق لتستخدم فى تدمير الحاميات التى تركها الالمان وراءهم فى البردية والسلوم والحلفاية والتى كانت الفرقة النيوزيلاندية الثانية قد قامت

بالاحاطة بها أثناء سير العمليات للغرب ، . وقد هوجمت البردية فى آخر ديسمبر واستسلمت دون قيد أو شرط فى الثانى من يناير وكان بين الاسرى جنرال المانى آخر ، وسلمت السلوم والحلفاية بعد عشرة أيام من هذا التاريخ عندما تعاونت قوات الفرنسيين الأحرار بقيادة الجنرال لارمينا ولواء دبابات الجيش الأول مع النيوزيلانديين فى هجوم عنيف فى ضوء القمر ، وأسرت ١٤٠٠٠ أسير منهم ٤٠٠٠ المانى

أما فى الجبهة الغربية فبعد أن تمت الإحاطة بقوات المحور فى المدة بين ٢٨ — ٢٩ ديسمبر فتر القتال بسبب قلة الوقود للسيارات ، على أن رومل نفسه لم يكن يستطيع أن يقف طويلا فى أجدابية فان مشكلة التموين بالنسبة له لم تكن تقل عنها بالنسبة للانجليز ، كما أنه لم تكن لديه مطارات قريبة من مواقعه الدفاعية وعدا هذا فقد كان يعلم علم اليقين أن الانجليز بمجرد أن ينجحوا فى استخدام ميناء بنغازى سيدفعون للغرب بالأمداد التى تمكنهم من قطع وصول أى امدادات اليه ، بل الاحاطة بمواقعه الدفاعية تماماً

وفى الخامس من يناير سمع رومل بوصول تسع سفن إلى ميناء طرابلس تحمل اليه امدادات ، كما علم بأن قوافل أخرى فى طريقها اليه — وصلت هذه فعلا فى أثناء شهر يناير نفسه — حاملة قوات وأدوات المانية تمكنه من تعويض خسائره كما أن فرقتى ليتوريا ١٣٢ وسابراتا ٦٠ الايطاليتين كانتا تتقدمان برا من طرابلس للشرق . ولهذا قرر رومل يوم ٦ يناير أن يرتد الى العقيلة انتظاراً لهذه الامدادات ، ولاول مرة استخدم رومل لستر تقهقره العامل الذى نجح فى استخدامه بكثرة ، وهو حقول الألغام الكثيفة

وفى السابع من يناير وصلت الى بنغازى قافلة كبيرة تقل إمدادات للانجليز ولكنها جاءت متأخرة ، من حيث إمكان استخدامها فى المطاردة .

وقد وصل رومل إلى العقيلة بعد أربعة أيام قضاها فى تقهقر منظم بطىء. والواقع أن موضع العقيلة يعتبر من الناحية الدفاعية موقعاً قوياً لجنبه الايسر يستند إلى البحر عند معاطن بسكار وفيها مورد مياه جيد ،هذا عدا أن الخط عندها تستره مستنقعات ! أما الطرق فقد بثت فيها الألغام بكثرة ، ثم يدور الخط فى انحناء محدودب طويل مندفعاً للشرق ليضم بير الصوبر ثم يسير جنوباً على طول التلال التى تمد الجنب الشمالى لوادى الفارغ حتى يصل واحة مرادا. وكانت المنطقة إلى جنوب هذا لا يمكن أن تجتازها أى قوات كبيرة ثم أن وراء هذا الخط مطاراً جيداً أطلق عليه بعد ذلك اسم (ماربل آرش) على أن الانجليز لم يتركوا رومل يهنأ بموقعه الجديد بل تقدمت نحوه بعض قوات مكونة من مجموعة لواء الحرس والهوزارس الحادى عشر وكتيبة حرس الدراجون الملكية واللانسارز الثانى عشر ثم مجموعة الامداد السابعة التى غيرت بمجموعة الامداد الاولى قبل أن يبدأ العدو هجومه المضاد ... على أن هذه القوات فى مجموعها كانت قليلة بالنسبة للموقع القوى الذى تواجهه ...

الفصل الرابع

الهجوم عند الغزالة

كان يظن أن التحرك الاول لقوات المحور فى الحادى والعشرين من يناير لا يزيد عن استكشاف بقوة، وكانت البلاغات الرسمية نفسها تقول هذا دون حذر. فاذا كان رومل كان يقصد هذا حقا، فانه لابد أن يكون غير من قصده بسرعة، عندما وجد أن طريق العقيلة — أجدابية تحميه قولات خفيفة من لواء الحرس، واندفع وسط هذه القولات واحتل ساونو وعنتيلات فى اليوم الثانى والعشرين، وبناء على هذا وجه اللواء المدرع الثانى من الشمال وآلاى اللانسرز التاسع والقوه (E) من الجنوب، لمهاجمته فى مواقعه الجديدة، ومر يومان فى قتال عنيف مضطرب، ولكن فى يوم ٢٣ ظهرت أول بارقة لحقيقة نوايا رومل. فقد شوهدت فى ميناء مزراطة قافلة كبيرة من سفن المحور. وهوجمت هذه السفن من الجو فأصيبت ثلاث سفن من سفن النقل وسفينتان حربيتان من مجموع ٢٤ سفينة، ولكن رغم هذا فان أغلب السفن استطاعت المرور، ومع هذا كان هناك أمل فى امكان إحتلال خط من الساحل إلى بيدافوم — عنتيلات — ساونو، ولكن فى اليوم الخامس والعشرين كانت القوات التى فى هذا الخط لا تستطيع الثبات أمام تقدم العدو، فتقرر تركه مع اخلاء بنغازى.

وتغيرت الخطة مرة أخرى فى اليوم التالى. فقد أمرت الفرقة الرابعة الهندية

بأن تضرب للجنوب من منطقة بنغازى نحو عنيلات، وأن تظل الفرقة الاولى المدرعة فى الجنوب الشرقى من شاروبا وأن يتقدم اللواء البولندى إلى المخيلى بينما يبقى الألاى الرابع، سيارات مدرعة (جنوب أفريقيا) القيام بأعمال الدوريات بين المخيلى وشاروبا، وكان على الفرقة الخمسين ولواء الحرس ١٥٠ المتقدمين من الشرق أن يتحركا من بير حكيم إلى بير تنجيدير، ولكن مع كل هذه الترتيبات، يظهر أن قوة العدو أخطى. تقديرها مرة أخرى ...

واستطاع رومل بعد قتال عنيف مدة يومين أن يقسم الفرقة الرابعة الهندية إلى قسمين فعزل اللواء السابع فى بنغازى وإن كان هذا اللواء قد استطاع بجرأة قائده أن ينقسم إلى ثلاث قولات نفذت كلها من قبضة العدو وانصرفت إلى القوات المدرعة فى المخيلى، ممسكة بالأسرى الذين أسرتهم على الطريق، إلا أن هذا اللواء خسر الكثير من أدواته التى تركها فى بنغازى كما أنه لم يستطع إحضار وحدات المهندسين التى تركت فى بنغازى لأعمال النسف والتدمير

ولم يكن أمام الانجليز إلا التقهقر إلى خط أقوى يمكن المقاومة فيه. وفى الرابع من فبراير كان لواء جنوب أفريقيا الأول والبولنديون والفرنسيون الأحرار يحتلون الغزالة والمنطقة الواقعة إلى جنوبها، وبين هذا وطريق العبد كانت القوات المدرعة، أما اللواء ١٥٠ فكان فى منطقة بير حكيم مع الفرقة الرابعة الهندية فى الاحتياطى فى عكرمة، حيث وصل اللواء ان الخامس والحادى عشر بعد قتال عنيف، وكان على الرويالز وبعض قوات جنوب افريقيا القيام بالدوريات فى المنطقة الصحراوية جنوبى بير حكيم

ولم يقف العدو بل تابع تقدمه للشرق، وفى العشرة الأيام التالية بدا أنه يحشد قوات كثيفة لمهاجمة القطاع الشمالى لهذا الخط، وفى اليوم الرابع عشر كان قد حشد قوة ضرب قوية أغلبها من الألمان ولكن المعاونة الجوية التى كان

يستند اليها لم تصله ، فقد دمر تشكيل من طائرات كيتيهوك بين عشرين وثلاثين قاذفة قنابل متقضة وطائرات مقاتلة فى عملية واحدة . ولهذا تابع رومل تقدمه يوم ١٥ فبراير دون القيام بهجوم جوى ، وانتهى الأمر إلى أن كلا الجانبين استقر حيث هو ، ليعد الامدادات اللازمة ... وفى هذا الوقت خلف الجنرال جوت (قائد الفرقة السابعة المدرعة) الجنرال جودوين اوستن فى قيادة الفيلق ١٣

* * *

وإلى هنا يكون هجوم الجنرال اوكونلك قد انتهى . وقد اعتبر هذا الهجوم إلى هذا الحد فوزاً ، لأنه اغتصب ما حصل عليه من فكى الأسد ، وقد أسر الانجليز ٣٦٠٠٠ أسير من المحورين كما نجحوا فى تكبيد رومل خسارة فادحة فى الرجال والأدوات ، وقد انتهى الخط الذى امكن الوصول اليه فى منتصف برقة بدلا من حدودها الغربية ، فاذا كان هناك أى نقد فلا يمكن أن يكون خطأ الضباط والجنود الذى خاضوا غمار تلك المعركة القاسية . ولا شك أن سرعة تحول بندول ساعة الزمن فى صف الألمان كان السبب فى الحكم الغير الصحيح الذى عقب به بعض الكتاب على تلك المعركة .

والواقع أن الجيش الثامن لم يكن قط فى القوة التى تكفل له القيام بما عهد به اليه وكان كل ما أمكن الحصول عليه فى كل مرة ، إنما يرجع إلى الروح القوية التى تتوافر فى الضباط والجنود ، وقد كان الامل فى امكان مهاجمة الجيش الأساسى لرومل قائما على افتراض النجاح فى تدمير مدرعاته ، ولكن الجيش الثامن — عندما بدأ الهجوم فى الثامن عشر من نوفمبر — لم يكن قويا بالدرجة التى تمكنه من هذا ... فالعربات التى يمكن أن تصلح لمعركة صغيرة لا تصلح

القتال متواصل ولمدى بعيد ... ثم أن وسائل النجدة والاصلاح لم يكن من المستطاع أن تعمل فى هذا المدى المتسع ، ولهذا عندما وصل رومل ، لم يكن من الممكن أن يظل فى العمل أمام مواقعه أكثر من لواء مدرع ولواء مشاة من الانجليز ثم أن الدبابات الالمانية كانت أقوى من مثيلتها الانجليزية فحتى الدبابات المسلحة بمدافع من عيار ٥٠ مم كانت قنبلتها تستطيع اختراق الدروع من مدى ١٠٠٠ ياردة بدرجة أكبر من القنبلة زنة ٢ رطل ، وإن كان هذا الموقف يتغير لو كان الاشتباك فى أرض تصلح للاشتباك من مرام قريبة

* * *

وقد بقى هذا الهجوع المكبوت ثلاثة أشهر متوالية حتى السابع والعشرين من مايو وإن كان من غير المستطاع أن نغفل الهجوم الذى قامت به ثلاث قولات انجليزية قوية فى اليوم الحادى والعشرين من مارس ، لتحويل انتباه الألمان بعيداً عن قافلة من السفن كانت تشق طريقها إلى مالطة

وبدأ السباق من الجانبين للحصول على أفضلية فى النوع والكمية ... وفى هذا السباق كان كل شىء فى جانب رومل .. فدباباته ومدفعيته وخاصة المضادة للدبابات أقوى وأكثر . ثم أن جنوده الالمان مدربون تدريباً عالياً . كذلك ليس من العدل — كما جاء فى بعض التقارير التى خطها أناس ليسوا فى ميدان القتال — أن يهمل الايطاليون الذين كانوا يعملون إلى جانب فيلق أفريقيا الالمانى . ثم أن خطوط مواصلاته — جغرافياً — أقصر من خطوط مواصلات الجيش الثامن . فلم يكن إلا أن تعبر السفن البحر الابيض المتوسط الى ميناءى طرابلس أو بنغازى حتى تحول الامدادات التى تقلها الى الجبهة بسرعة ، ولم يكن هناك أى عائق عدا مالطة ، ولهذا استمرت هذه الجزيرة طوال الربيع

غرضا لغارات مستمرة ... صحيح ان الدفاع عنها كان مجيداً ولكن لا شك أن هذا شغل الطائرات والسفن التى بها عن محاولة القيام بأى هجوم للتدخل ضد الإمدادات التى ترسل لرومل عبر البحر المتوسط، ولم يكن فى مقدور الطائرات الانجليزية التى وراء خط الغزالة أن تعمل شيئا، كما أن قواعد الحلفاء البحرية كانت بعيدة، ولهذا فبالرغم من أعمال غواصات الحلفاء، أمكن رومل أن يحصل على إمدادات كثيرة.

أما الموقف بالنسبة للجيش الثامن فكان — على نقيض هذا — مشكلة معقدة، فكل جندى وكل قطعة من عتاد الحرب — فيما عدا ما تنقله طائرات النقل — كان يجب أن ينقل بالبحر مسافة اثنى عشر ألف ميل، وكان البحث مستمراً للوصول إلى انتاج دبابة تقابل الدبابة الالمانية مارك ٣ وإلى انتاجها بكثرة وكان الامريكان ينتجون — فعلا — دبابات من طراز جرانت وكانوا قد بدأوا يرسلونها إلى الجيش الثامن، ولكن مدافعها الكبيرة كانت تحدد من درجة قوس نيرانها، ثم إن العدد الذى وصل منها إلى الجيش الثامن عند بدء المعركة لم يكن كافيا. كذلك كان الموقف بالنسبة للمدفعيـــة ... والواقع أنه ليس هناك ما يقال ضد المدافع عيار ٢٥ رطلا إلا أن العدد الذى كان يمكن إيجاده حالات له كان قليلا ... ولكن المشكل كان واضحاً بالنسبة للمدفعية المضادة للدبابات فقد كانت الحاجة ملحة لمدافع منها من عيار كبير وقد حل الالمان هذا المشكل باستخدام المدافع عيار ٨٨ مليمتر المصنوعة أصلا للعمل ضد الطائرات — كمدفعية مضادة للدبابات أيضاً، وقد صنع الانجليز المدافع عيار ٦ رطل وكان بعضها فى الطريق للصحراء الغربية ولكن حتى ما يو كان كل ما وصل منهـا عدد قليل ليست له قيمة جدية، أما الطائرات فإن الامداد بالآلات عن طريق أفريقيا الجوى كان ميسورا ولكن يمكن القول

بالنسبة لكل المهـــام التى كان يجب أن يقوم بها السلاح الجوى الملكى أن هذا السلاح كان مفتقراً إلى الكثير من احتياجاته ولا يصح أن نغفل أيضاً أنه فى أثناء هذا الهجوم كان لمسارح الحرب الاخرى أثر فى التطورات التى حدثت فى الصحراء الغربية . فان الهجوم اليابانى كان على أشده ولهذا اضطر الأمر إلى تحويل امدادات كثيرة من التى كان مقرراً إرسالها إلى الشرق الاوسط ، الى الشرق الاقصى ، هذا عدا نقل لواء مدرع أرسل من الشرق الارسط إلى سيلان والهند وبورما ، كما أن كل القوات الاسترالية — فيما عدا فرقة واحدة لم تكن قد ضمت بعد الى الجيش الثامن — قد ارسلت لمواجهة الغزو الذى كان يهدد استراليا نفسها ، ولهذا فانه بالرغم مما كان يصل الجيش الثامن من إمدادات ومعدات من الولايات المتحدة وبريطانيا . كان المتوقع دائماً أن رومل هو الذى سيبدأ بالهجوم ... وقد ثبت أن هذا الظن كان صحيحاً من كل الوجوه .

الفصل الخامس

معركة جسر الفرسان

فى أوائل مايو بدأ الألمان يزحفون للامام لتقليل سعة الشقة الحرام ، التى تقع بين أقصى مواقعهم الأمامية وبداية حقول الألغام الانجليزية ، وكانت القيادة العليا لقوات المحور قد أعيد تنظيمها أيضاً فجاء الجنرال نيهرنج ليتولى قيادة فيلق أفريقيا والجنرال فون بسمرك لقيادة الفرقة ٢١ المدرعة ، وقد دل هذا — مع الامدادات الكثيرة التى وصلت رومل — على أن هجوما يقترب وأن أون أغراضه سيكون طبرق

وقد بدأ رومل هجومه فى السابع والعشرين من مايو على أساس أنه كلما طال به وقت الانتظار ، بات أضعف نسبياً . ولهذا فقد تخير اللحظة التى كان هو فيها الأقوى — بالنسبة للسباق من أجل الامدادات — وكانت القيادة الانجليزية العليا عالمة بالهجوم كما أنها كانت على حق فى تقديرها أن غرض رومل الرئيسى سيكون طبرق ، ذلك لأن الحامية التى تركت بها عند تقهقر ويفل كانت وحدها مبعث قلق رومل ، ولكن هذه القيادة لم تكن تعرف : هل يتقدم رومل نحو طبرق مباشرة أم لا ؟ على أن كل توزيعات الجيش الثامن كانت على أساس أن طبرق هى أول ما سيتوجه نحوه رومل . ولهذا كان احتياطى المشاة المكون من اللواء الخامس الهندى وبعض الفرنسيين الاحرار يعسكر فى بامبوت والبردية ، كما جىء بلواء الحرس . . سوا لاى دبابات الجيش الثانى والثلاثين

من القاهرة إلى القطاع الشمالى للجبهة ، أما الخط الدفاعى فكانت تحتله الفرقة الأولى من جنوب أفريقيا مع لواء من الفرقة الثانية فى الاحتياطى القريب ، ثم الفرقة الخمسين بعد المائة الذى أرسل لاحتلال نقطة قوية جنوبى سيدى مفتاح ، وفى أقصى الجناح الجنوبى كانت تحتل منطقة بير حكيم حامية من الفرنسيين الاحرار يعاونها قسم من اللواء الميكانيكى الهندى الثالث الذى كان قد وصل قبل المعركة بيومين فقط ، ونظراً للشجاعة التى أظهرتها هذه الحامية نحب فى هذا المقام أن نوضح تشكيلها . فقد كانت مكونة من كتيبة الباسفيك وكتيبتين من فرقة الأجانب ثم بعض جنود من البحرية الفرنسية وكل هؤلاء تحت قيادة الجنرال كويننج والجنرال كازو كقائد ثان ، ولم يكن هذا الدفاع خطاً متصلا بل كان عبارة عن مجموعة من النقط القوية المختلفة الابعاد من بعضها البعض وتربط بينها حقول الغام كبيرة العمق . ولم تكن هذه النقط متشابهة القوة والتسليح فتلك التى كانت أقرب للعدو كانت تحتلها حاميات من المشاة ، أما تلك التى فى الخلف فانها — بالاضافة إلى كونها مواقع إحتياطى ثابت — فانها كانت أيضاً مناطق يمكن منها للقوات المدرعة أن تخرج للاشتباك بأى قوات للعدو تجتاز القواعد الامامية أو حقول الالغام ، وكان أغلب القوات المدرعة موضوعاً خلف القطاع الشمالى ، وكان الجزء الرئيسى الاقوى موجوداً حول تقاطع الطرق المعروف باسم «جسر الفرسان» على مسافة ١٧ ميلا غربى العدم

وكان جسر الفرسان هو فى الواقع مفتاح موقع الغزالة . وقد اختير بسبب أنه طالما حوفظ عليه فان رومل لن يستطيع الوصول إلى أى نجاح استراتيجى ، فاذا كان سيقوم بالاختراق من الوسط بواسطة هجوم أمامى ، فان جسر الفرسان يقف فى طريقه مباشرة ولهذا فاما أن يدمر فى مكانه وإما أن

تدفعه القوات المدرعة للشمال ، وفى هـذه الحال سيسقط فى قبضة قوات موقع عكرمة والمدرعات التى هناك فى تلك المنطقة ، فاذا قام بالاختراق شمالا من هذا أيضاً فان الجنب الايمن لتقدمه سيقع تحت نيران مدمرة من الهضبة الواقعة شمالى جسر الفرسان ، فاذا دار حول الجنوب فمن الممكن مهاجمة جنبه الايسر كما أن مواصلاته سيمكن قطعها ، وأخيراً فان جسر الفرسان يسيطر على كل الدروب التى ترسل عليها الامدادات الى الجبهة ولهذا فان سقوط جسر الفرسان فى يد العدو من شأنه أن يجعل البقاء فى هذه المنطقة من سيدى مفتاح الى بير حكيم مستحيلا ... وقد ألقى عبء الدفاع عن هذا الموقع الهام على لواء الحرس والمدفعية الخيالة الملكية . وقد كان هذا المكان طوال المعركة المحور الذى تدور حوله القوات المدرعة

وكانت القوات المدرعة تتكون من الفرقة السابعة التى كانت إذ ذاك تتكون من ألايى الدبابات الثالث والخامس — ثم الهوزارس الثامن واللواء الميكانيكى السابع .. وكتيبتين من اللواء الستين وكتيبة من لواء البنادق . وكانت هذه الفرقة — السابعة المدرعة — قد حلت محل الفرقة الاولى المدرعة قبل بدء المعركة بشهر واحد ، ولكن هذه الاخيرة زودت بمعـــدات جديدة وأعيدت إلى الميدان بالاضافة الى الوحدات المدرعة الصغيرة التى ذكرت من قبل ، وكانت الفرقة الاولى مكونة من اللوائين المدرعين الثانى والثانى والعشرين ثم من لواء الحرس المائتين

وكانت هاتان الفرقتان المدرعتان بستار العربات المدرعة المكونة من اللانسرز الثانى عشر ومعها حرس الدراجون وآلاى السيارات المدرعة الرابع جنوب أفريقيا ثم حامية بير حكيم ، تكون الفيلق الثلاثين . وكانت المشاة كلها التى فى خط القتال واللوائان الاول والثانى والثلاثين من دبابات الجيش

تكون فى مجموعها الفيلق الثالث عشر ، أما اللواءان الباقيان من الفرقة الثانية جنوب أفريقيا فكانا يحتلان طبرق ، وفى هذا التوزيع كان الجيش الثامن يستعد للهجوم وفى نفس الوقت ينتظر تملؤه الثقة — أى هجوم للعدو

وكان غرض رومل أن يحتل طبرق فى عملية سريعة لا تستغرق أكثر من أربعة وعشرين ساعة ، ولإدراك هذا الغرض وضع خطة للحصول على سيادة جوية وتحت ساتر قوته الجوية تدور كل القوات الألمانية المدرعة عدا كتيبة واحدة ونحو نصف المدرعات الايطالية مع بعض المشاة حول أقصى الجنوب. وأمل رومل فى أن يحتل بير حكيم فى طريقه، كما أمل فى الاستيلاء على محطة الوقود الأمامية للجيش الثامن التى فى عكرمة ثم المطارات التى بها ، كذلك العدم والدودة وسيدى رزيق وجامبوت ، وكل هذا فى اليوم الأول .. وبذلك يكون قد أحاط بطبرق

فاذا جاء اليوم الثانى اندفعت قواته المدرعة للشرق وراء مؤخرة موقع الغزالة بينما يقوم مشاة الايطاليين بهجوم أمامى من الغرب، وهذا يحول المشاة الانجليز إلى مسحوق يتطاير فى الهواء .. وفى الليلة التالية تهاجم طبرق بكل جيش المحور على أن يتم سقوطها يوم ٣٠ مايو .. كذلك هناك بعض أسباب تدفع إلى الظن بأن رومل كان يتوقع مساعدة قوات من كريت تعاونه فى الهجوم على طبرق

وقد أسىء القيام بتنفيذ الخطة كلها ، ففى بكورة يوم ٢٧ هاجم جزء من فرقة آريتى بير حكيم ولكنه رد بخسارة ٤٨ دبابة ، أما باقى القول الأساسى للمحوريين فبعد أن دار دورة واسعة أثناء الليل ، اندفع عند الفجر نحو الشمال من وراء بير حكيم ، وقد اصطدم به اللواء الميكانيكى الثالث الهندى ولكن لم يكن فى استطاعة هذا اللواء أن يقاتل فرقتين مدرعتين فى الميدان

المكشوف ، وقد تكبد الالمان خسارة خمسين دبابة قبل أن يستطيعوا اجتياز النطاق الدفاعي الذى كان يسد طريقهم ، واندفعت الفرقة ٢١ بانزر إذ ذاك نحو عكرمة ولكنها اصطدمت بالفرقة الاولى المدرعة مستندة إلى موقع جسر الفرسان القوى فعطلتها ، وفى نفس الوقت اندفعت الفرقة الخامسة عشرة بانزر نحو العدم ، بينما أرسلت بعض قوات منها لاحتلال الدودة وسيدى رزيق ، ولكن كل هذه القوات قوبلت بوحدات اللوائين المدرعين الرابع والثانى والعشرين وصدت للوراء ، وفى هذا القتال لا يمكن اغفال الدور المجيد الذى قامت به وحدات هوزارس جلوسستر شاير الملكى وآلاى يوميرى كونتى اوف لندن الثالث ، والهوزارس الثامن وآلاى الدبابات الثالث . . وقد قام مشاة المحور بالهجوم المخادع تجاه الغزالة من الغرب طبقا للخطة الموضوعة ، ولكن الهجوم لم يدفع بضغط كاف

على أن هذا التعطيل التام لم يكن هو كل متاعب رومل ، فان السلاح الجوى الملكى قد رفض أن يذعن لمحاولة الألمان الحصول على السيادة الجوية ولهذا مر بحملات رومل الميكانيكية وقت سيء ، وكان السلاح الجوى بمعاونة الاسطول قادراً على منع أى غزو من كريت لو كان شيء من هذا قد نظم من قبل .

وكانت قولات رومل تحمل معها تموين خمسة أو ستة أيام ، ولهذا كان من الضرورى قبل أن يمر هذا القدر من الوقت أن يعمل على إمدادها بتموين جديد ، أو تصاب بنكبة

وكانت الفرصة الوحيدة التى لدى رومل حتى لا يعود ثانية من الطريق الذى جاء منه ، هى أن يشق ثغرات فى حقول الالغام الانجليزية ، ومن هذه الثغرات يستطيع إحضار التموين من الغرب الى الشرق كما يستطيع — عند الضرورة — أن ينسحب من الشرق إلى الغرب . وقد نجح فى اليوم الثامن

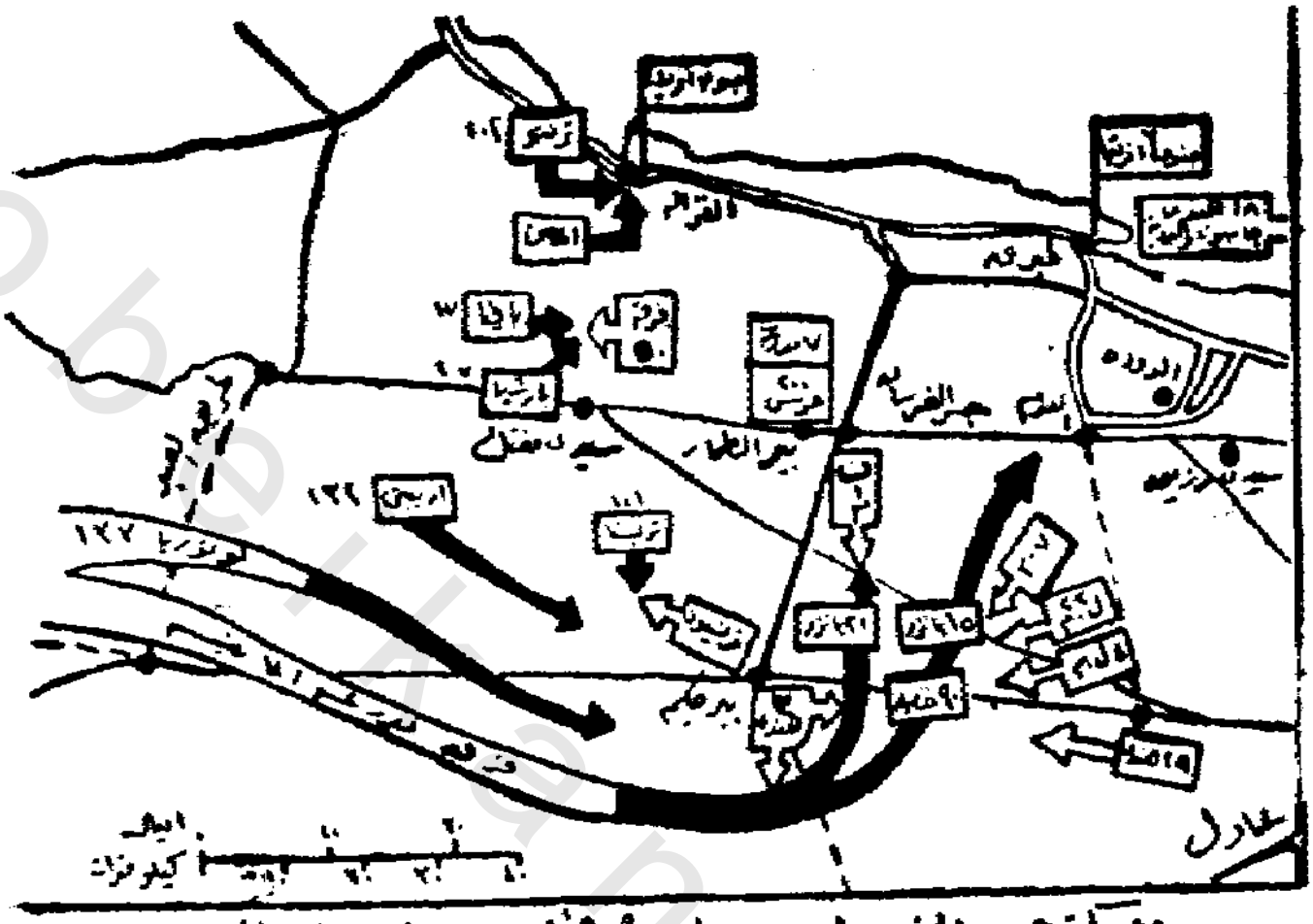

معركة جسر الفرسان - قامت في يومي ٧ و٨ مايو

والعشرين فى أن يشق معبرين أحدهما قرب طريق العبد والثانى قرب طريق كابوتزو الى شمال الموقع القوى الذى يحتله لواء المشاة الخمسون بعد المائة وقد حرس هذان المعبران بستارة من المدفعية المضادة للدبابات ، ويبدو أن قصده الاول من شق الثغرات إنما كان استخدامها كخطوط حيوية للانسحاب ، كما يبدو أن معركة الدبابات العظيمة التى اثيرت فى منطقة جسر الفرسان فى الايام الاربعة التالية ، انما أعدت لاستخلاص قواته المدرعة من العزلة الخطرة التى كانت فيها شرقى خطوط الانجليز

وانجلى يوم ٢٩ مايو عن قتال لا يبعث على التفاؤل فقد تكبد الجانبان خسائر فادحة فى الدبابات ، ولكن جاءت لحظات كثيرة فى الايام التالية كان الجيش الثامن يبدو فيها فى أوج الانتصار وقد بدا بوضوح أن الدبابة جرانت اكثر من أى دبابة أخرى سبقتها فى الوقوف على قدم المساواة مع الدبابة الالمانية مارك ٣ ولكن لم تكن هناك مساواة فى القوات المدرعة واستمر الحال كذلك حتى وصل الى الجيش الثامن بعد ستة شهور أخرى عدد كبير من الدبابات من طراز شيرمان .

وفيما عدا خسائر المعركة تعطل عدد كبير من سيارات نقل العدو انضوب البترول منها ، وفى يوم ٣٠ — أثناء تخلص القول الفرنسى (جوك) من بير حكيم ليتصل بالقولات الانجليزية — دمر خمسة وعشرين دبابة للمحور كانت معطلة لافتقارها للوقود وقام اللواء الرابع المدرع الذى كان يقوم بامداد هذه القولات باتلاف ذريع لخطوط مواصلات المحور ، ولكن كان القلق ما زال قائما لأن الثغرتين اللتين شقهما الألمان فى حقول الألغام الانجليزية كانتا لا تزالان مفتوحتين بل أنهما ازدادتا اتساعا فى غرة يونيو ، وفى هذه الأثناء كان اللواء المائة والخمسون المشاة الذى يحتل موقع سيدى مفتاح قد بقى ا ـ ـ ـ

وثلاثين ساعة غرضا لهجوم متواصل من كل الاتجاهات فلما تسنى للعدو التغلب عليه شقت ثغرة فى خطوط الانجليز سعتها عشرة أميال . ولكن كان لا يزال متوقعاً — تبعاً لتقارير المخابرات الكثيرة — أن رومل قد ينسحب وإن كان القائد المحلى والقائد العام نفسه لم يؤمنا لحظة واحدة بامكان هذا ، وكانا محقين فى ظنهما فقد جاء بكل قواته الاحتياطية فى الغرب التى كانت تواجه الغزالة وبدأ يعمل مرة أخرى للحصول على النصر ، وكتحرك أولى حشد رومل جل مدرعاته والفيلق العشرين الايطالى فى نتوء لشرق الممر الذى شقه فى الألغام ولجنوب المواقع التى تحتلها الفرقة الخمسون ، ولكنه لم يجرؤ على القيام بهجوم واسع النطاق حتى ينتهى من بير حكيم التى فى جنوب مواقعه ، ولهذا فان المرحلة الثانية للمعركة امتازت بمحاولتين من جانب الانجليز اولاهما استمرار الامساك ببير حكيم والثانية اختراق هذا النتوء بهجمات مضادة .

وقد كانت القيادة الانجليزية العليا قد قررت القيام بهجوم تحويلى من القطاع الشمالى فى اتجاه الغرب والجنوب الغربى . ولكن القتال فى جسر الفرسان كان يشغل كل شىء فقد بقيت المدفعية الخيالة الملكية وكتيبة كولد ستريم جاردس تحت نيران مستمرة من سبع عشرة بطارية مدفعية محورية ... كما أن هذا مع ضياع موقع سيدى مفتاح فيما بعد سببا إغفال خطة الهجوم التحويلى ...

وقد تابعت حامية بير حكيم دفاعها بصورة تبعث على الاعجاب ، وطوال اليوم الثانى من شهر يونيو هوجم الموقع من الشمال والشرق بكل قوات الفرقة ١٠١ (تريبستا) واجزاء من الفرقتين ١٧ و٢٧ ثم نحو الخمسين دبابة ، وقد

استطاع الفرنسيون أن يردوا كل هذه الهجمات ، وعوون الفرنسيون فى هذا الدفاع ببعض القوات التى كانت تعمل خلف مؤخرة الألمان ولا سيما اللواء الميكانيكى السابع ، وجدد الايطاليون هجومهم بمعاونة دبابات المانية وعدد من قاذفات القنابل المنقضة ولكن دون الحصول على أى نجاح ، وفى هذا اليوم نفسه اشتبكت المدفعية الملكية الخيالة الأولى مع الدبابات الألمانية ودمرت ١٧ دبابة ولكن هذا الاشتباك فى الشمال لم يوقف مهاجمة بير حكيم ، وقد شهد اليوم الرابع نفس القصة ، وفى هذه الأيام الثلاثة الحرجة استطاع السلاح الجوى الملكى أن يدمر ثلاثين طائرة للمحور بينها أغلب قاذفات القنابل المنقضة المستخدمة فى الهجوم ، وقد قوى هذا التعاون الجوى من عزيمة المدافعين فبعثوا برسالة لاسلكية للايرمارشال كونتجهام بشكرهم .

وقد اعتبر هذا أكثر من نصر دفاعى محلى . على أن الألمان — من جانبهم — ارغموا على أن يوقفوا قواتهم لغرب الغزالة حتى يستطيعوا معاونة الهجوم فى الجنوب ، ولهذا باتت الفرقة الأولى جنوب أفريقيا واللواءان الباقيان من الفرقة الخمسين طليقة للقيام بالهجوم ، وقد وجد الألمان أن قواتهم قيدت فى أمكنتها وانها باتت أبعد مما كانت فى أى وقت عن استطاعة متابعة التقدم نحو طبرق ، فان محاولة الاختراق نحو طبرق تتطلب حشد كل قواتهم المدرعة وبذلك تترك مشاتهم تحت رحمة القوات الانجليزية المحيطة بها من الشمال والغرب والجنوب ، ثم أن عملية التقهقر باتت اكثر صعوبة : فان كل القوات المدرعة والمدفعية ستحتاج للقيام بعمل السائقة وبذلك تقع المشاة وقولات التموين فى قبضة القولات الانجليزية التى

تعمل أمام حقول الالغام الانجليزية ، ولهذا يمكن القول اجمالا بأن قوة المبادأة كادت تنتقل الى الجيش الثامن . .

وكان الوقت قد حان لهجوم مضاد قوى . وقد يكون هذا صحيحا حتى لو كان رومل يحشد قواته للقيام بهجوم جديد — وهو ما حدث فعلا — لا الانسحاب ، وقد قدر الجنرال ريتشى ثلاث مسائل تبادلية : فاما أن يرسل فرقة جنوب أفريقيا الأولى والفرقة الخمسين من مواقعهما للغرب ثم للجنوب ضد مؤخرة العدو ، وإما أن يوجه الفرقة الخامسة الهندية مع بعض القوات المدرعة فى دورة واسعة جنوبى بير حكيم وحول قوات المحور التى تقوم بمهاجمة مواقع الفرنسيين الأحرار فتقوم هذه القوات بمهاجمة مؤخرة مهاجمى المحور ، وإما أن يقوم بمهاجمة النتوء الألمانى من عدة نقط فى وقت واحد لاختراقه ، وأخيراً تم الرأى على اختيار الخطة الثالثة ، ولا شك أن هذا قد أعاد لأذهان الكثيرين ولاسيما أفراد الفرقة الخمسين ، خطة فيجان فى معركة فرنسا ...

وانتهت خطة الجنرال ريتشى أخيراً إلى شىء وفى ليلة ٤/٥ يونيو قامت كتيبتان من الفرقة الخمسين يعاونهما لواء الدبابات الثانى والثلاثون بالهجوم من اتجاه الشمال ، كما قام لواءان من الفرقة الخامسة الهندية يعاونهما اللواء الثانى والعشرون وأربع آلايات مدفعية بالهجوم من الشرق ، وقد فشل الهجوم الشمالى فقد بعثرت المشاة بنيران مدفعية المحور قبل أن تستطيع الاقتراب أما الدبابات فقد تعثرت فى حقول الغام غير معروفة أو محددة قبل أن تصطدم بخط من المدفعية والدبابات الألمانية ، أما الهجوم الذى جاء من الشرق فقد وصل إلى بير الطمار حيث اوقف تماماً ثم تعرض لهجوم مضاد قوى فى

اليوم التالى وبعثر تماما بعد ان فقدت كل المدفعية ومنها الآلاى ١٠٧ من المدفعية الملكية الخيالة الذى استمر جنوده يقاتلون بالمدافع حتى لم يبق منهم إلا ضابط وجندى واحد كما قاتلت المشاة وعلى الأخص (هايلاند لايت انفانترى) لآخر رجل

وجاء يوما ٥/٦ يونيو أسوأ جداً مما سبقهما من أيام فان فشل الهجوم الذى وجه ضد التتوء الألمانى كان بداية هزيمة عامة أكبر ، وكان رومل دون شك قد حصل على نصر دفاعى فقد استطاع الابقاء على التتوء الذى أحدثه كما انه لم يرغم على إضعاف الهجوم الذى كان يوجهه ضد بير حكيم ، وقد هوجمت مواقع الفرنسيين فى ايام ٦و٧و٨ بعنف ولكن بالرغم من أن الكثير من الطرق الداخلية المحلية استعيدت نتيجة للهجمات المضادة ، إلا أن الحامية كانت تواجه مشاكل كثيرة .فحتى يوم ٩ يونيو كانت قوافل التموين تصل بالبر إلى بير حكيم كما أن الحامية لم تحرم قط من معاونة السلاح الجوى أو القولات التى تعمل من خارج المواقع الدفاعية ،ولكن وجد من الضرورى فى هذا اليوم أن تمد القوة بالتموين اللازم لها من الجو

ومرت ست وثلاثون ساعة أخرى وفى ليلة ١٠ / ١١ كان لزاما تبعاً للافتقار إلى التموين وبسبب الاجهاد البدنى للجنود ، أن تسحب الحامية ، وأصدر الجنرال ريتشى أوامره باخلاء بير حكيم ، وقد أمكن بمعاونة اللواء السابع الميكانيكى أن تنسحب المقدمة المكونة من الفى جندى دون أى تدخل من جانب العدو ، أما المؤخرة التى كانت تحاول أن تسحب معها مدافعها فقد اشتبك بها العدو ومع هذا أمكن أن تقاتل منقدمة فى طريقها للشرق واستطاع الف جندى النجاة . . وقد تولت فتاة انجليزية هى مس سوزان ترافيرس قيادة سيارة الجنرال كوينج وعندما وصلت سيارته إلى المنطقة الأمامية كان

بها أحد عشر ثقبا من رصاص العدو وقد اعتبر هذا الانسحاب من وجهة نظر كلا الجانبين المتضادين على أنه نقطة التحول فى المعركة إذ كان دليلا على فشل عملية الهجوم المضاد التى قام بها الجيش الثامن كما كان دليلا على أنه فقد قوة المبادأة التى كان قد حصل عليها ، وكان فى استطاعة الألمان أن يجمعوا قواتهم لأى تقدم جديد ، وقد فعلوا هذا لأول وهلة وتقدموا نحو عكرمة وبذلك شطروا الجيش الثامن شطرين ، ومن تلك اللحظة كانت الأفضلية فى نوع القوات المدرعة ومعداتها فى صف الألمان ، ولم يكن من الممكن استعادة هذه الأفضلية بالعدد الصغير الموجود من دبابات جنرال جرانت . .

وإبان اليومين التاليين حشد رومل قواته فى منطقة عكرمه — العدم وإن كان تقدم وحداته شمالا من بير حكيم قد كبده خسائر كثيرة للجرأة التى كانت تعمل بها اللواءات المدرعة الثانى والرابع والثانى والعشرون والتى كانت من ناحية أخرى قد ضعفت قواتها كثيراً ، على أن المحوريين كانوا قد وصلتهم امدادات جديدة ، بالفرقة الايطالية المدرعة ١٣٣ ليتوريا وبذلك كانوا من الناحية العددية مساوين للانجليز فى المدرعات ولكن من ناحية التفاضل فى القوة والمعدات كانت أفضليتهم الاولى قد زادت بدرجة كبيرة ، وفى نفس الوقت بدا بوضوح أن القوات البريطانية مبعثرة فى مواقع كثيرة وانها بهذا تواجه خطر تدميرها فرادى ، ولهذا أمرت فرقة الغزالة يوم ١٣/١٤ يونيو بالانسحاب بوقد وصلت جنوب أفريقيا ، إلى طبرق تحت ساتر الفرق المدرعة التى فى علوة الطمار وعكرمة . القتال المجيد الذى قام به اللواء الثانى والعشرون المدرع وآلاى الدبابات الثامن ، ولكن الفرقة الخمسين كانت تواجه دوراً أصعب لأنها كانت تبدأ من أبعد من هذا للجنوب ، بعد انسحاب قوات جنوب أفريقيا ، ولهذا فقد اتجهت غرباً من وسط مشاة

الايطاليين ثم دارت للجنوب ، وبعد دورة واسعة حول بير حكيم وصلت مادلينا يوم ١٥ يونيو ، وفى أثناء هذا كان صدام المدرعات يسير باستمرار من سيء إلى أسوأ

وقد قيل إن يوم ١٣ يونيو هو اسوأ يوم بالنسبة للقوات المدرعة الانجليزية ولا شك أنه كان يوماً سيئاً ولكن التقارير الصحيحة تدل على أنه لم يكن أسوأ من أيام أخرى بل لم يكن سيئاً كبعضها ، وأن الجيش الثامن قد تكبد قبل هذا التاريخ وبعده خسائر كثيرة دون أن يكون قادراً على أن يكبد العدو خسائر مماثلة . والواقع أن هذه الخسارة انما كانت نتيجة محاولة القتال فى معارك دبابة تجاه دبابة حيث تكون الافضلية فى صف الدبابات الألمانية الأكبر ثقلا والأقوى تسليحا بما معها من مدفعية مضادة للدبابات

والصحيح أن الدبابات يجب استخدامها كسلاح للمناورة . وليست قوة الدبابة فى تدريعها وحسب وإنما فيما تحمل من أسلحة فاذا تفاوتت زنة القنابل التى تطلقها الدبابات فى جانبين متضادين وجب أن يقاوم التعادل على أساس المدفعية المضادة للدبابات ... ولعل هذا هو العامل الاساسى للمدافع التى من عيار ٦ رطل)

وربما كان أصل قصة الاعتقاد بأن يوم ١٣ يونيو كان اسوأ يوم هو أن جسر الفرسان — الذى كان لواء الحرس ٢٠٠ يدافع عنه بجرأة — قد اخلى فى بحر اليوم الرابع عشر . ولكن يجب ألا يغيب عنا أن لواء الحرس قد بقى يدفع العدو عن جسر الفرسان أربعة عشر يوماً وانه قد انسحب بكل شىء عدا مدفعين ، وأنه بعد هذا الانسحاب بدأت المواقع الانجليزية المنعزلة تسقط فان الورسستر بعد دفاع مجيد انسحبوا إلى طبرق . أما العدم فلم تخل حتى استطاعت راجبوتانا رايفلز السادسة أن تتخلص من الألمان بعد هجوم مضاد موفق ..

الفصل السادس

سقوط طبرق واجتياز الحدود

على أن الجنرال اوكنلك كان قد قرر أن يفعل ما فعله رومل من قبل فى اجدابية ، أى الانسحاب إلى خط بعيد فى الخلف لمقابلة الامدادات التى كانت فى طريقها اليه ، وكانت خسارته فى القوات المدرعة قد ارغمته على أن يترك كل المواقع الامامية عدا طبرق وكانت الفكرة هى الابقاء على طبرق وان كان الدفاع عنها فى العام السابق قد تكلف ثمناً باهظاً فى السفن ولم يكن فى استطاعة الاسطول أن يحتمل ثانية تموين الحامية ، ولكن فى هذه المرة كان بها تموين مخزون يكفيها ثلاثة شهور وبالرغم من أنه سيمكن عزلها إلا أن هذا العزل سيكون وقتياً

وكان الرأي أن تقوى القوات التى على الحدود ، على أن تعد قوة ضرب قوية وراء هذا الستار ، وهذه القوة تتقدم فى أقرب فرصة لتتصل مرة أخرى بحامية طبرق للعمل على تطهير برقة من المحوريين ، ولم يكن هناك فى الواقع الوقت الكافى لإعداد المواقع الدفاعية فى طبرق ولكن هذه الدفاعات اثبتت مرة قبل هذا أنها منيعة ، إلا أنه كان من المنطق الظن بأن رومل سيوجه الجزء الأكبر من قواته للامام نحو الحدود ، ولهذا لم يكن فى استطاعته أن يهاجم طبرق بقوة ، على الأقل قبل مرور بعض الوقت

إلا أن الروح المعنوية للجيش لم تتأثر بهذا التحول المعاكس فى المعركة

وفى الأيام الخمسة التالية قامت القوات المتقهقرة بعمليات محلية ناجحة ضد العدو المتقدم ، وقد اجتازت القوات التى لم تعين للدفاع عن طبرق أو للقيام بتعطيل تقدم العدو ــ الحدود ، وكان العدو يتقدم فى قولين أساسيين الأول على طريق كابوتزو والثانى على الدرب من العدم إلى بير سفرذن ، على أن هذين القولين عندما تأكدا أن القوات التى على الحدود ليست فى قوة تسبب قلقاً له خطورته ، دار كلاهما واتجها نحو طبرق من الغرب ...

وكانت تحتشد فى تلك القلعة الحصينه إذ ذاك حامية يبدو أنها قوية ، ولكنها لم تكن فى الواقع قوية لدرجة تكفى للدفاع عن نطاق دفاعى يمتد خمسة وعشرين ميلا ولا سيما أن افراد نصف القوات وأغلب المدفعية لم تكن لديهم دربة كافية ... كان فيها لواءان من فرقة جنوب أفريقيا الثانية ولواء المشاة الهندى الحادى عشر ولواء الحرس واللواء الثانى والثلاثون من دبابات الجيش ، كما أن اللواء الميكانيكى السابع وآلاى الدبابات الملكية السادس وكل الدبابات الباقية من اللوائين المدرعين الثانى والثانى والعشرين كانت كلها فى جوار طبرق تغطى الانسحاب إلى الحدود ، على أن هذه القوة الصغيرة بعد معركة عنيفة مع كل قوات المحور المدرعة دفعت دفعاً للشرق وبذلك كانت غير قادرة على معاونة حامية طبرق ...

وفى بكورة يوم ٢٠ يونيو قذف قطاع الدودة فى النطاق الدفاعى بغلالة ثقيلة من نيران المدفعية ، وكانت تحتل هذا القطاع بنادق الجوركا السابعة والمهراتا والكمرون هايلندرز ، وقد تبع هذه الغلالة تدمير جوى شديد عاون على نسف حقول الألغام الواقعة ، ووجه هذا التدمير الجوى بعد ذلك نحو مواقع المهراتا ، ولم يكن فى الإمكان تقديم أى وقاية جوية ضد هذا التدمير الجوى فان السلاح الجوى كان مرغماً أخيراً على الانسحاب إلى مطارات أبعد

من مدى عمل طائرات القتال .

وما لبثت طبرق حتى سقطت . .

ويصف ضابط انجليزى من الجيش الثامن كان عائداً من بريطانيا إلى الشرق الأوسط على ظهر حاملة جنود شعوره إزاء هذه الكارثة بقوله « لقد شعرت بيد باردة فوق قلبى ... انى أحس بشقاء لقد سقطت طبرق ... وهذا شيء يصعب تصديقه لقد كنت أعبث بعصبية فى أجهزة اللاسلكى باحثاً فى الهواء عن تفاصيل جديدة أكثر مما أذيع ولكن كل هذا كان بلا جدوى ، وكل ما علمناه هو أن رومل قد اخترق دفاعات طبرق نهار أمس وأن المعركة قد انتهت فيها ... ان الاسئلة كثيرة ويمر اليوم كله فى أسئلة لا تلقى اجابة ... انها ضربة مخيفة ... »

ولعل الجزء الأسوأ فى الضربة إنما كان فى استيلاء العدو على كميات كبيرة من الامداد والتموين ، فان طبرق كانت مستخدمة كقاعدة أساسية للهجوم الذى كان قد أعد من مواقع الغزالة . وقد حرق المستودع الرئيسى للبترول ولكن كانت هناك ركام فوق ركام فى ارتفاع الأهرام من الأغذية والقنابل وغيرها من المواد والأدوات وكل هذه قد حصل عليها العدو وأغلبها سليم كما هو ..

ولا يمكن أن يكون هناك دليل على الروح القوية التى للجيش الثامن أكثر من سرعة تغلبه على هذه المحنة . على أن الصعوبة كانت فى أنه من الضرورى أن تمر أربعة شهور على الأقل بين ارسال أى امدادات من بريطانيا أو الولايات المتحدة ووصولها اليه ، أى أن المسألة لم تكن مسألة أسابيع أو ايام. على أنه لحسن الحظ كان سيل الامدادات فى الرجال والأدوات قد بدأ يرسل قبل النكبة بكثير : ففى الأسبوعين الأخير من مايو والأول من يونيو تركت الفرقتان الرابعة والأربعون والحادية والخمسون أرض بريطانيا وكان على الطريق كذلك عدد كبير من المدفعية والعربات والدبابات الجديدة ، كما أن

القيادة العليا كانت تستطيع أن تقتطع بعض الامدادات من نواحى أخرى فى الشرق الأوسط ويمكن أن نذكر منها الفرقة التاسعة الاسترالية والفرقة الثانية النيوزيلاندية ولواء المشاة الثامن عشر الهندى. ولكن الفرقتين الانجليزيتين والدبابات الأمريكية والمدافع المحمولة على عربات. كل هذا لا يمكن انتظاره قبل أواخر يوليو أو أوائل أغسطس

وكان فقدان طبرق مع عدد كبير من الجنود ثم قلة عدد القوات المدرعة الانجليزية الباقية قد جعل مواقع الحدود التى اقترح الوقوف فيها غير صالحة. فقد بات من السهل الاحاطة بها لعدم وجود احتياطى قوى خفيف الحركة، ولهذا صدر الأمر بالتقهقر لمسافة ١٢٥ ميلا للشرق نحو مطروح مع ترك قوة للتعطيل فى منطقة السلوم وذلك لكسب الوقت لانسحاب القوة الأساسية، على أن القائد العام فى نفس الوقت قرر أن مطروح لا يمكن الدفاع عنها، (لأن تنظيم الدفاع قد وضع على أساس أن تحتلها مشاة تعاونها قوات مدرعة تعمل فى جنبها الجنوبى وبدون هذه القوات السائرة القوية لا تكون أكثر من مصيدة للقوات) فتتكرر مأساة طبرق (إلا أن مطروح فى الواقع مكان جيد لعملية أخرى من قبل السابقة)

وقرر رومل أن يضرب بسرعة وأن يوجه كل القوة التى لديه نحو مطروح وفى هذا القرار تغلب على موسولينى ونفر من أركان حربه الذين كانوا يرون ضرورة التوقف عند الحدود حتى تصله الامدادات، واندفع رومل بقواته فى قولات على الطريق الساحلى. وعلى طول السكة الحديد، وعلى حافة الهضبة .. ثم إلى الجنوب من هذا نحو بير الكنايس. وكانت فى المقدمة فرقتاه الالمانيتان المدرعتان وفرقة اريتى وفرقة ليتوريا ١٣٣ الايطالية المدرعة والفرقة ٩٠ الخفيفة ثم الفرقة الايطالية الميكانيكية الثانية بعد المائة، وبعد

يومين من سقوط طبرق اضاف لهذه القوات أربع فرق ايطالية كاملة من المشاة .

وكان يواجه هذا كله الالواء المدرع السابع واللواء الهندى الثالث المدرع ثم لواء من العربات المدرعة مكون من عدة وحدات ، وكان وراء هؤلاء فى مرسى مطروح فرقة هندية والفرقة الخمسون (مكونة من الالوية ٦٩ و ١٥٢ وجنوب أفريقيا الاول) وإلى الجنوب من هذا الفرقة الخامسة الهندية والفرقة النيوزيلاندية الثانية ثم لواء من العربات المدرعة مكون من بقايا اللواء الرابع والثانى والعشرين المدرعين

وقرر الجنرال اركنلك بعد أن بدا بوضوح أنه لن يتوقف فى مطروح أن يقف فى العلمين حيث يمكن أن يحمى منخفض القطارة جنبه الأيسر كما يحمى البحر جنبه الايمن ، وكان إبان الصيف قد أعد فى تلك المنطقة نواة مواقع دفاعية وبذلك كان قد جنى بسرعة ثمار بعد النظر بالاضافة إلى المهارة والنشاط الذى بذله الجنرال ويللوبى نورى وأفراد الفيلق الثلاثين فى تحسين الدفاعات كما قرر أن يكبد العدو أقصى ما يمكن من الخسائر على الطريق حتى يصل . كانت الساعة حرجة ... ولهذا قرر أن يحمل على كتفيه مسئولية العمليات وفى الخامس والعشرين من يونيو تسلم من الجنرال ريتشى ادارة المعركة

وفى السادس والعشرين من يونيو كان رومل قد حشد قواته الأساسية فى منتصف ما يمكن أن يسمى مواقع مطروح . كانت فرقه الألمانية على مسافة ٢٨ ميلا جنوب غربى مطروح وكانت القوات الايطالية المدرعة شرقى وغربى طريق مطروح — سيوة ، أما المشاة الايطالية فكانت على الطريق الساحلى لغرب مطروح ، وكانت هذه التوزيعات أشبه بتوزيعات المراحل الأولية فى معركة الغزالة عدا أن العدو استطاع الوصول لمنتصف الموقع بالاختراق ،

وكان رومل بلا شك يأمل ان يعيد قصة طبرق . ولهذا ففي السابع والعشرين عندما هاجم الايطاليون المشاة مطروح من الغرب حشد رومل قواته في منطقة منجار القايم حيث كانت تستطيع الضرب للشمال ومهاجمة بعض القوات الانجليزية من الخلف ، وحاول القيام بهذه المناورة في اليوم التالي ، وهو جم النيوزيلانديون بعنف خمس مرات متوالية ولكنهم لم ينزلوا عن بوصة واحدة من الأرض لا المشاة ولا للدبابات وعندما سقط الظلام وضع النيوزيلانديون سونكياتهم وقاموا بالهجوم في اتجاه الشرق فوصلوا العلمين مساء التاسع والعشرين . وقد استطاع ثلاثة الوية هندية القيام بعمل جريء مماثل كما قاتلت شاقة طريقها وسط أربع فرق للعدو . كتائب الاسكس و ١٠ بالوك وراجبوتانا رايفلز السادسة ... (لاحظ أن المشاه سلاح يستطيع التسرب من بين قبضة القوات المدرعة وتكرار هذا في الغزالة وطبرق ومطروح يدل على أن القتال يدأ بيد في جرأة وروح قوية لا تزال له مكانته في التخلص من قبضة العدو) ... وتوصلت هذه القوات بدورها إلى منطقة العلمين ...

الفصل السابع

الحفرة الاخيرة

كانت خير فرصة للعدو هى أن يقوم بالهجوم قبل أن يستطيع الجيش الثامن أن يستقر بعد هذا التقهقر الطويل المليء بالصعاب وقبل أن تصله الإمدادات ، ولهذا اندفع رومل بسرعة طوال يومى ٢٩ و ٣٠ فوصل فى مساء اليوم الأخير تجاه العلمين ، وفى اليوم التالى قامت الفرقة ٩٠ تعاونها فرقة تورنتو ونحو عشرين دبابة بهجوم متكرر على قطاع قوات جنوب أفريقيا وقد أمكن صد كل هذه الهجمات رغم التدمير الجوى الذى قامت به قاذفات القنابل المنقضة ، وإلى الجنوب كان موقع لواء المشاة الثامن عشر الهندى (فى بير الشين) عرضة لهجوم مماثل ، وعلى امتداد النهر صدت كل الهجمات أو عزلت بهجوم مضاد ، ولكن أثناء الليل أمكن التغلب على المقاومة بواسطة هجوم جديد وشقت ثغرة فى الخطوط الانجليزية

وكانت الأيام الثلاثة التالية حرجة للغاية ، وفى اليوم الثانى من يوليو بذلت محاولة لزيادة سعة الثغرة ودفع رومل بفرقته التسعين وغالبية مشاته الايطاليين ثم بثلاثة فرق مدرعة ضد قوات جنوب أفريقيا والفرقة الأولى المدرعة الانجليزية ، وقد تبادل المعركة طوال اليوم مد وجزر شديدان وتلقت الفرقة الأولى تهنئة خاصة من الجنرال اوكنلك لعملها المجيد . . وقد ظن الألمان

ذات لحظة أنهم اخترقوا القوات الدفاعية فأصدروا بلاغا جاء فيه أنهم يطاردون الانجليز المنهزمين نحو الاسكندرية . ولكن ما ذكره البلاغ كان غير صحيح وكما مكنت هجمات ديسي وكاليرمان من اغتصاب النصر من بين فكى الهزيمة وان فى مارنجو تقدم اللوائين الرابع والثانى والعشرين للغرب وللشمال جعلهم يهاجمون جنب قوات المحور ، بينما اشتبك النيوزيلانديون واللواء الميكانيكى السابع بنحو ٤٠ دبابة للعدو ، كما أن جنود جنوب أفريقيا بدورهم انقلبوا من الدفاع إلى الهجوم ولهذا لم يكد يأتى المساء حتى انسحب العدو تاركا المواقع الانجليزية متماسكة .

وقام رومل بمحاولة ثانية فى اليوم التالى وفى هذه المرة احتمل النيوزيلانديون فى شمال غربى باب القطارة الصدمة الأساسية فى الصباح ، كما واجهت الفرقة الأولى المدرعة الطعنة الأساسية ضد الهضبة الى الجنوب محطة العلمين بعشرة كيلو مترات فى المساء ، وقد أمكن صد الهجوم فى كل مكان وخسر الألمان ٢١ دبابة و ٤٤ مدفعاً و ١٦ طائرة من طراز ستوكا مع ٤٠٠ أسير ، وكانت رحى المعركة قد دارت للجانب الأخير وكان قد ثبت صواب فكرة القائد العام فى امكان استعادة قوة المبادأة ، ومن تلك اللحظة تبددت الأسطورة الخيالية بدخول الاسكندرية فى زهو المنتصر ، فلقد أمكن دفع قوات المحور بجنود مجهدين ولكنهم رغم ارتباكهم — لهزيمتهم الأولى — وجدوا القوة التى تمكنهم من الثبات فى الحفرة الأخيرة

على أن هذه القصة هى قصة الجيش الثامن أصلا . ولم نحاول قط التحدث تفصيليا عن أعمال سلاح الجو الملكى ، ولكن لاشك فى أنه لولا العمل العظيم الذى قامت به الطائرات لما أمكن خلاص الجيش الثامن اطلاقا . فعندما كانت

لأحوال تتحرج بسرعة كانت الطائرات تخرج من مطار ثم تعود بعد عملها إلى مطار آخر بعيد فى الخلف ، لأنه أثناء الساعات القليلة التى تقضيها فى الجو يكون المطار الذى خرجت منه قد بات فى قبضة العدو!

وهكذا اجتاز الجيش الثامن اظلم ساعة فى تاريخه ، وكانت خسارته بما فيها حامية طبرق قد وصلت الى مايقرب من ثمانين الف جندى ، ومع هذا كان لايزال سليما ، بل على النقيض استطاع بمعاونة الامدادات التى كانت تتحرك نحوه بسرعة وبقوة ، أن يبدأ تمزيق قوات العدو

وفى القطاع الشمالى جنوبى محطة العلمين تعرض العدو لهجوم جوى شديد يوم ٤ يوليو ولهذا لم يكد يأتى المساء حتى كان العدو يتقهقر على طول ذلك القطاع ، وأبعد من هذا للجنوب ، استطاع الفيلق الثالث عشر طرد الجناح الأيمن للعدو للوراء ، وفى بكورة الصباح التالى نجح اللواء النيوزيلندى الخامس فى تطهير منطقة بير المحيسن مكبداً العدو خسائر فادحة بثمن قليل

وبدأ رومل يتقبل هذا التوقف ، ففى الخامس من يوليو بدأ الالمان يقيمون ستاراً ضد الدبابات من المشاة والمدافع عيار ٨٨ مم ، من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى على طول الارض المرتفعة عند المريير ثم تمتد بعد بير الحرا ، وفى هذا اليوم وصلت مقدمة الفرقة التاسعة الاسترالية الى الخط فوصل اللواء الرابع والعشرون الى القطاع الاوسط وبعد ليلتين اثنتين فقط قام باغارة ناجحة ، كما قام فول نيوزيلاندى بتقدم سريع حول موقع العدو فوصل فوكه ودمر أربعين طائرة فى أرض المطار ثم عاد ثانية بخسارة بضعة أفراد فقط

وفى التاسع من يوليو قامت الفرقة التاسعة الاسترالية وفرقة جنوب

أفريقيا الاولى بهجوم كبير فوصلوا إلى أغراضهم فى تل العيصى واحتفظوا بها ضد هجمات العـــدو المضادة ، وأمكن بالعملية التى تمت يوم ١١ يوليو الاحتفاظ بكل هضبة تل العيصى مع الفى أسير أغلبهم من الايطاليين وتدمير ١٨ دبابة و ١٥ مدفعاً ، ولكن فشلت المحاولة التى قامت بها القوات المدرعة لاستثمار هذا النجاح ...

وكان الموقف إذ ذاك قد وصل إلى درجة التعادل . وظل هكذا حتى بدأ رومل هجومه الكبير فى ٣٠ أغسطس ، إلا أن كلا من الفريقين لم يكن الموقف يروقه ولهذا حدثت معارك عنيفة من أجل المواقع ، وقام الإنجليز بثلاث هجمات متوالية الاولى بين ١٤ و ١٧ يوليو أمكن بها الاستيلاء على أغلب هضبة الرويسات ولكن تل العيصى تبادلته الايدى ثلاث مرات وأخيراً (فيما عدا الزاوية الهامة شمالى جسر السكة الحديد) بقى ملكا للمحوريين ، وإن كان فى إحدى هجماته المضادة يوم ١٦ خسر ٢٥ دبابة فى نظير لاشىء من الجانب البريطانى

وكان الهجوم الثانى أكثر خطورة فقد بدأ بفكرة اختراق دفاعات الالمان . وبدأ هذا الهجوم ليلة ٢١/٢٢ يوليو ، وبعد قتال عنيف لمدة ٢٤ ساعة بالفرقة الخامسة الهندية واللوائين الخامس والسادس النيوزيلانديين واللوائين المدرعين الثانى والثالث والعشرين فشلت محاولة الوصول الى الحد الشرقى لمنخفض دير الشين كما فشلت محاولة تطهير هضبة الرويسات تماما ، أما فى الشمال فاستولى الاستراليون ثانية على تل العيصى ولكنهم دفعوا عنه يوم ٢٣ ، وفى الجنوب اقتحم اللواء ٦٩ المشاة هضبة الطاسه ولكن غالبيتها أخليت فى الصباح ، وكانت النتيجة العامة لكل هذه العمليات لاتبعث

أى أمل فقد فقد الانجليز ٦٠ دبابة و ٢٤٠٠ جندى كما خسر المحوريون خسائر فادحة عدا الاسرى ولكن لم يكن هناك أى تقدم مادى ، هذا عدا أن العدو وجد قوياً بدرجة كبيرة

وفى ليلة ٢٦/٢٧ يوليو بذلت محاولة أخرى . وكانت الخطة هى شق ثغرة للقوات المدرعة الانجليزية فى حقول الالغام الالمانية — على أن يصحب هذا بهجوم مخادع فى القطاع الأوسط . وقد رفعت الألغام كتيبتان من جنوب أفريقيا واجتازت الثغرة كتيبتان من اللواء ٦٩ هما دارهام لايت انفانترى وايست يوركشير وقد دمرتا اللواء ٣٦١ الالمانى تماما فى قتال بالسونكى . ولكن الى أبعد من هذا للشمال ، أوقف هجوم اللواء ٢٤ الاسترالى وبصعوبة استطاع التخلص تحت ساتر من آلاى الدبابات ٥٠ ، وكشف هذا التوقف جنب اللواء الذى استطاع بدوره التخلص بصعوبة تحت ساتر الفرقة الاولى المدرعة ، وكانت الخسائر فادحة فقد خسر الانجليز ٧٠ دبابة بين مدمرة ومعطلة واعتبر الف استرالى مفقودين

وسكن كلا الجانبين (... ولكن الواقع ان هذا القتال كان تجربة لتكتيكات جديدة كان الانجليز أسرع فى الانتفاع بها من رومل فان هذا القتال قد وضع أصلا لتجديد المعارك المائعة ولكن لم ينجح أى منها فى اختراق الدفاع ... وبذلك بدا بوضوح أن القتال — على الاقل فى الصحراء الغربية — هو قتال مدفع ولغم وجندى بيادة وأن الدبابة لم تعد سيدة ميدان المعركة)

على أن هذا السكون لم يمكن من خلق رومل بل انه كان يضايق الجيوش التى يقودها ، فقد أفقدها السكون الأمل الكبير الذى كان القائد الالمانى يبثه

فيها ، ثم أن موسوليني كان قد أسرع الى أفريقيا ليرأس طابور النصر في الاسكندرية والقاهرة وكانت قصة رحيله الى بنغازي ودرنة للقيام بجولة تفتيشية صعبة التصديق ، وأخفيت الآلات الموسيقية النحاسية التي كانت قد أرسلت بسرعة لشمال أفريقيا ، وحولت سرايا المهندسين الخاصة بالكباري والتي جاءت استعداداً لاقامة المعابر على النيل الى سرايا مهندسين عادية تعمل في بث الالغام ! ولكن الواقع أن كل شيء قد ضاع لأن رومل — رغم الصورة الرائعة التي رسمها له جوبلز — كانت له اخطاؤه كقائد ، وأهمها أنه يكرر دائما تكتيكات واحدة ولهذا كان من السهل أن يحزر خصمه مايحاول أن يفعله ...

الفصل الثامن

لا انسحاب ... لا ... ثم لا

بقى الجانبان طوال أغسطس يعملان بهمة فى إعادة التنظيم ومد حقول الألغام وزيادة عمقها ثم جمع الامدادات ومراجعة المعلومات . وفى الخامس من أغسطس زار مستر تشرشل الجيش الثامن وقد جاء وفى صحبته الماريشال سمطس والماريشال ويفل . وكان كل فرد فى الجيش الثامن يسأل نفسه .. تشرشل — ويفل — سمطس ماذا يمكن أن يعنى هذا ؟ ! ! لا بد أن الأيام القادمة ستكون أياما عظيمة

ولاشك أن المستقبل القريب كان يبشر بمثل هذه الأيام وبدت أول علائم لها فى اعادة تنظيم القيادة .. ثم الجيش . ولعل من أصعب الواجبات فى العالم تنظيم الجيوش والمعارك على قاعدة النقل ، بأن يخلى قائد الطريق ليخلفه فى فى قيادته قائد آخر . على أنه لم يكن هناك أقل تقصير فى الاعجاب بالطريقة التى حول بها اوكنلك المعركة من الهزيمة المنكرة ، ولكن كان يبدو نتيجة للتوزيع السريع للقيادات (الأمر الذى يجىء على الرغم من ارادة المسئولين) للاتساع الكبير الذى اعتور الجيش البريطانى الصغير ، بسبب الحرب) أن الرجل الأصلح لهذه القيادة لم يكن قد وجد بعد

ولهذا تقرر أن يكون الجنرال الكسندر — آخر رجل ترك دنكرك والرجل الذى استطاع أن ينقذ القوات البريطانية الصغيرة وهى متماسكة من

بورما برغم القوات اليابانية التى كانت تواجهها ـ قائداً عاماً فى الشرق الاوسط وأن يكون الجنرال « سترافر » جوت قائد الفيلق ١٣ قائداً للجيش الثامن ولكن لسوء الحظ قتل جوت عندما هاجمت طائرتا قتال المانيتان طائرة النقل التى كان عائداً بها الى القاهرة ، ولهذا القى عبء هذه القيادة على عاتق الجنرال مونتجومرى الذى كان يتولى قيادة فى بريطانيا والذى اشتهر بقوة أخلاقه وبإصراره على توفر الصلاحية البدنية فى كل ضابط وجندى تحت قيادته

ومنذ ذلك الحين بدأ الاشتراك المثمر بين الجنرالين الكسندر ومونتجومرى هذا الاشتراك الذى كسب النصر الكبير الثانى فى هذه الحرب ـ كان الاول هو تحرير شرق أفريقيا ـ بالتغلب على الالمان وإثبات عدم صحة الاعتقاد بأن القيادة الانجليزية مفتقرة الى التصور السليم والى التجديد ...

ويقودنا الحديث عن هذه الشركة التعاونية الى ذكر الايرتشيف ماريشال تيدر الذى استطاع ـ كقائد عام للسلاح الجوى فى الشرق الاوسط بالتعاون مع الايرفيس ماريشال كونتجهام قائد السلاح الجوى فى الصحراء الغربية ـ الحصول على برنامج تعاونى جوى كامل ، وعلى تكتيكات جديدة للعمليات الجوية ، وكذلك الاميرال هارووود الذى نسق بمهارة تثير الاعجاب عمل الاسطول فى الخطة العامة ، ولا بد أيضاً من ذكر اثنين آخرين هما الجنرال ليندسل والبريجادير سيربريان روبرتسون اللذان نظما تموين وامداد الجيش الثامن وبذلك مكنا ذلك الحين من استثمار النجاح بعد كل عملية . وثبت أن الامداد والتموين هما سر النجاح فى كل حرب ، على أن كلمة « التعاون » تعتبر وصفاً غير دقيق عند التحدث عن العمل فى هذا الطاقم . فان العمل كان أجل وأروع من العمل التعاونى ، بل كما قال الجنرال مونتجومرى « لم يكن هناك عمليات تعاونية بل اتحاد تام وقوة واحدة لادراك غرض واحد »

وكانت هناك أشياء أخرى تبعث على تزايد الثقة ،فقد وصلت من بريطانيا الفرقتان الرابعة والاربعون والحادية والخمسون ، كما أمكن اعداد فرقتين مدرعتين جديدتين هما الثامنة والعاشرة ، وكانت الخسائر فى الدبابات التى تكبدها الجيش الثامن قد استعيضت كما أن جنود المدفعية المضادة للدبابات « ضمدوا جراحهم » بعد وصول مدافع جديدة عيار ٦ رطل ، كما كان وجه الصحراء يتغير يومياً تحت وقع آلات الرصف وجماعات عمال الطرق ، ولاشك أن كل هذه الأعمال كان لها تأثيرها فى الجيش

وكان رومل أيضاً يتلقى إمدادات ، وقد دلت بعض الاغارات على وجود فرقة ألمانية جديدة هى الفرقة ١٦٤ وآلاى المشاه الألمانى ١٢٥ وقد جاء الاثنان من كريت ، كما جاءت تشكيلات كثيرة من جنود المظلات الايطاليين والألمان واستخدم هؤلاء وقتيا كمشاة ، كما استخدم الكثير من العائمات إلى حد كبير وبذلك استطاع احضار عدد كبير من الدبابات والمدفعية وبعضها من المدافع الروسية التى غنمها الألمان فى الحرب وكان لديه أيضاً عدد من المدافع الانجليزية عيار ٢٥ رطلا كان استولى عليها أثناء تقدمه ،ولكنه برغم هذا التسليح القوى كان فى موقعه وتوزيعاته قد ضعف بعض الشىء ، من عمل رومل نفسه ، وقد تحدث القائد الألمانى كثيراً عن « أن مقبض الباب فى يده » والواقع أنه كان يظن كل شىء فى الهجوم ، وكان كل ما لديه من القوات فى الأمام ، أما حقول الغامه فبالرغم من كثرتها وعمقها ،لم تكن موضوعة دائماً فى حالة جيدة

وكان كذلك فى موقف سىء من ناحية التموين فهو طوال الاسبوعين الاخيرين من أغسطس تكبد خسارة فادحة فى الرجال والأدوات المرسلة

اليه بما صب عليه الأسطول والسلاح الجوى. ففى ليلة ١٧ / ١٨ أغسطس حرق مستوعا بترول فى طبرق وفى اليوم الثامن أغرقت سفينة حمولة ٧٠٠٠ طن كانت مثقلة باللوريات ، وفى ٢١ أغسطس أغرقت طائرة من مالطة سفينة بترول كانت مرسلة له كما أصيبت ناقلة بترول أخرى

وفى ليلة ٢٩/ ٣٠ أغرقت ناقلة ثالثـــة ، وفى يوم ٢٨ قذفت أربع سفن تجارية المحور بالطوربيد كما دمرت الطائرات مستودعات البترول فى الضبعة ، وفى يوم ٢١ دمرت ٤ سفن تجارية أخرى وطوال كل هذا الوقت كانت السفن التى تعمل فى المياه الساحلية عرضة لهجوم جوى مستمر .

وقد قال الأسرى الذين عادت بهم دوريات الجيش الثامن أنه كانت هناك خطة للهجوم يوم ٢٥ أغسطس ولكنها لم تنفذ . وفى الليلة التالية قام النيوزيلانديون باغارة موفقة على الايطاليين فى منخفض دير المرير ، وقد بدا بوضوح أن العدو يفتقر إلى التموين وخاصة الوقود ، وربما كان لديه ما يكفى لهجوم سريع ، وكان يأمل فى أن يستولى بهذه على وقود أو يصله مدد من الوقود يكفيه لمتابعة الهجوم ، فاذا كان هذا الظن صحيحاً (الواقع أن هجومه فى آخر أغسطس أخفق لأنه فشل فى الاحتفاظ بوقود كاف) فان إغراق ناقلات البترول يكون من أهم أسباب هزيمته ، ولكن ليس هذا هو السبب الوحيد لأننا لا نستطيع أن نغفل مهارة القيادة العليا فى إعداد الستارة المؤثرة من المدفعية المضادة للدبابات ثم التنظيم الدقيق للهجمات المضادة التى اكتسحت هجومه

وكان الجيش الثامن قد ولد ثانية فى الفترات التى مرت بها هذه المعارك

الكبرى فى منطقة العلمين

وفى الثامن والعشرين من أغسطس عقد الجنرال مونتجومرى مؤتمراً حضره الضباط القادة كمقدمة للهجوم الذى كان يبدو بوضوح أن رومل على وشك أن يبدأه، وفى مقدمة الحديث قال الجنرال مونتجومرى « ولن يكون هناك أى انسحاب ... لا انسحاب مهما حدث .. لا ... ثم لا » ثم بدأ يدلى بآرائه الشخصية فى رومل فقال « أنه قائد قادر ولكن نقطة الضعف التى فيه هى رغبته وميله الى تكرار أساليبه التكتيكية ... إن له عقلا ليس له إلا طريق واحد للتفكير »

وقد ثبت أن هذا التقرير المبكر صحيح من كل الوجوه، عندما بدأ رومل هجومه الجديد ليلة ٣٠ أغسطس

الفصل التاسع

آخر ضربات فيلق أفريقيا

كانت تكتيكات رومل فى هذا الهجوم تكراراً لتلك التى نجحت فى الغزالة ، فقد كانت قوة الضرب مكونة من كل قواته المدرعة (نحو ٥٨٠ دبابة) ثم خير مشاته ، واستخدم عدداً كبيراً من المدافع مع لوريات حملة يتفاوت تقديرها بين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ ، وكان على قوة الضرب هذه أن تخترق مواقع الجيش الثامن فى الجنوب ثم تندفع للشمال وراء خطوطه فتدمر أو تطرد القوات الانجليزية المدرعة ثم تسحق المشاة المنعزلة ، فاذا لم يصل الى الساحل فى أول اندفاع فيجب أن يخدع الانجليز ليقوموا بهجوم مضاد فيدمرهم تماما بمدفعيته الثقيلة المضادة للدبابات

وكانت خطة الجيش الثامن على أساس توقع ماحدث فعلا (لاحظ خطورة تكرار القائد لتكتيكاته فى عدة عمليات متتالية لأنه يفقد بذلك عامل المفاجأة الاستراتيجية) فكان على اللواء المدرع الرابع الخفيف وبعض عناصر الفرقة السابعة المدرعة أن تعطل حركة التطويق الاساسية على أن لاتصطدم بعنف بقوات رومل المدرعة بل تنسحب تاركة دباباته تمر ثم تحتشد لتدمير حملاته الميكانيكية التى تكون قادمة خلفها ، وفى ذات الوقت يتحمل المشاة الذين فى الخنادق والمدفعية الثقل الاساسى لهجوم قواته المدرعة بينما تعمل بقية القوات المدرعة الانجليزية والتى تكون قد اتخذت مواقع

دفاعية قوية مستورة ،للعمل كمدفعية خفيفة الحركة

وقبيل منتصف ليل الثلاثين من أغسطس هوجم اللواء الخامس الهندى وكتيبة ويست يوركشير فى هضبة الرويسات بالمشاة والمدفعية . وقد وصل المحوريون إلى المواقع الأمامية ولكنهم أوقفوا بمعاونة كتيبة من آلاى الاسكس . وقد ووجه جنود جنوب أفريقيا فى منطقة دير الشين بهجوم مماثل نجحوا هم أيضاً فى إيقافه ، ويبدو أن هذه الهجمات كانت لتحويل الانتباه فقط وفى الساعة الثانية صباحاً أبلغت الفرقة السابعة المدرعة أن قوات كبيرة ترفع حقول الالغام حول الخيمات . وكان هذا هو العمل الاساسى . كان فيلق أفريقيا قد بدأ رحلته الى القاهرة ، الرحلة التى جاء على لسان الاسرى أن روميل قد وعدهم بها

وحوالى منتصف اليوم كانت قولات العدو الأساسية تجتاز حقول الالغام الخارجية . وقد قوبل الهجوم بنيران شديدة من اللواء الرابع الخفيف الذى قرر أنه دمر ٢٤ دبابة للمحور . وقد توقف أحد قولات الهجوم خارج حقول الالغام الداخلية . وتقدم قول آخر للشمال حتى جنوب مواقع النيوزيلانديين حيث بدأت الفرقة التسعون الخفيفة الألمانية تحفر مواقع لها ... وجاء فى صحبتها جزء كبير من الفرق المدرعة الايطالية بقصد الاحاطة بالقوات الانجليزية التى إلى شمال هذا ، ليظل الطريق مفتوحا للالمان حتى منخفض القطارة فى الجنوب . . وفى الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر توقف العدو للحث على القيام بهجوم مضاد ولكن عندما فشل هذا الهجوم اندفع المحوريون شمالا وقاموا بهجوم عنيف سطر على اللواء الثانى والعشرين المدرع ولكن أمكن بمعاونة اللواء الثالث والعشرين المدرع صد هذا الهجوم وخسر الالمان ٤١ دبابة من ١٠٠ ، وحدث اضطراب

فى صفوف المحوريين وفى تقهقرهم تركوا ثغرة فسيحة بين مجموعتين من قواتهم المدرعة فانتهزت الفرقة السابعة المدرعة هذه الفرصة للضرب على أجناب الألمان ، وقد حدث قتال عنيف فقد فيه الالمان ثلاثين دبابة أخرى ، وقد حاولت الطائرات الألمانية أن تعاون فى القتال فخسرت ١٥ طائرة بينما فقد السلاح الجوى الملكى ثلاث طائرات فقط .

كانت نتيجة القتال فى اليوم الأول مرضية من جانب الانجليز ، والواقع أن رومل بتكراره لتكتيكات التطويق مع التغافل عن حقيقة أن المنطقة ليست شبيهة بمنطقة الغزالة وأنها لاتسمح بمناورة واسعة ،قد وقع فى صعاب كثيرة ، فهو لم يكن يستطيع التوزع لتقليل الخسائر بسبب التدمير الجوى ، فقد بقيت أسراب سلاح الجو الملكى تقذفه بقنابلها فاذا القت حمولتها عادت الى مطاراتها لتحمل المزيد كما وجدت المدفعية المتوسطة أغراضا جيدة فى القوات المحتشدة عند الحمامات والى شمالها

وقد أضاف الألمان الى الصعاب التى كانوا يواجهونها تعثر عدد كبير من دباباتهم ولورياتهم فى الرمال اللينة الهشة وبذلك أرغموا على استهلاك كميات كبيرة من الوقود لانقاذها من الحفر التى تنكبت فيها ... وطبيعى أن هذا الاستهلاك لم يكن متوقعاً

وأهمية هذا فى سير المعركة أن الألمان بدأوا القتال وهم يفتقرون الى الوقود ، والتموين الذى كانوا ينتظرونه قد أغرق على الطريق البحرى ، ثم انهم لم يغنموا جالوناً واحداً كما أملوا . ولهذا كان عليهم أن يختاروا احد أمرين : فاما التدمير والفناء وإما التقهقر السريع

وقد بدأ يوم أول سبتمبر بتدمير محكم لقوافل تموين المحور . وطوال اليوم قذفت دبابات المحور ولورياته بالقنابل ، وقد قامت الطائرات بهذا

الهجوم حتى جامبوت وسيدى برانى فدمرت حاملات بترول كثيرة ، وقد بقى العدو هادئا تحت هذه النيران طول يومى ١ و ٢ سبتمبر إما لأنه لم يكن يستطيع شيئاً وإما لأنه كان لا يزال يأمل فى الاغراء بالهجوم المضاد ، ولم تستخدم القوات المدرعة الانجليزية شيئاً عدا مدافعها ، ولكن اللواء الرابع والهوزارس الحادى عشر كانا فى غرب الحمامات يعملان على خطوط مواصلات المحور ، كما كان الهوزارس الرابع واليوميزى جد مشغولين بضرب العدو فى منطقة جاب الله .

وفى صباح الثالث من سبتمبر ظهر بوضوح ان الاستراتيجية والتكتيك الانجليزيين قد نجحا ، فقد انسحب العدو أثناء الليل الى دير الراجل وراء ستارة واقية من المدفعية ، وقد ضوعف التدمير الجوى والارضى ، وأغرقت سفينتان كما أحرقت ناقلة بترول كانت ثلاثتها قادمة من كريت

وبقيت بعض أجزاء قليله من خطة العدو الاصلية لتنفذ ، ففى ليلة ٣/٤ سبتمبر قبض على جماعة مكونة من ١٤ ايطالى نزلوا الى الساحل من قارب من المطاط بقصد نسف الخط الحديدى غربى بحيرة مريوط ؛ هذا عدا أن رومل كان لا يزال متشبثاً ببعض الأراضى التى استولى عليها عندما جاء من حول الحمامات

وفى أثناء هذا كانت الفرقتان السابعة والعاشرة المدرعتان تدفعان العدو ببطء نحو حقول الالغام الخارجية ، وقد تقهقر الألمان فعلا للخلف ولكن فى نظام جيد ودون خسائر فادحة ، وفى اليوم التالى تقبل رومل الهزيمة عندما أعلن فى بلاغاته الرسمية أنه كان يقصد فقط عمل استكشاف بقوة ، ولسوء حظه ان الأوامر التى أصدرها قبل تقدمه للهجوم سقطت فى يد الانجليز وكان حجر الزاوية فيها الجملة الآتية : (اليوم وقد أمد الجيش

بفرق جديدة سيقوم بهجوم جديد ليدمر العدو نهائياً ، وبذلك يكون قد قصد عملا حقيقياً ولكنه فشل

وكانت آخر محاولة لرومل للوصول للاسكندرية قد فشلت ، فان خير ما كان لديه ليضعه قبالة الجيش الثامن لم يكن كافياً ، فقد خسر رومل ٥٣ دبابة دمرت تماماً غير العدد الكبير الذى دمر جزئياً واحتمله بعيداً لاصلاحه (وقد ذكر الجنرال فريبورج فى تقرير له سبباً أساسياً آخر للفشل عدا الافتقار الى الوقود ، هو أن التكتيكات البرقية فى أسلوب رومل قد أفقدت المشاة والمدفعية قوة العمل الهجومى المستقل فقد باتوا تابعين للدبابات وفقدوا تماماً مهارتهم القديمة فى استخدام أسلحتهم الشخصية)

وخسر الجيش الثامن ١٠٠ دبابة منها ٣٠ من طراز جرانت ولكن كانت تنظيمات النجدة والاصلاح قد باتت جيدة .. ثم ان سيل الامدادات كان متواصلا فبعد أربعة عشر يوماً كان لدى مونتجومرى ٨٦٠ دبابة صالحة للعمل منها ١٨٥ جرانت و ١٠٨ شيرمان وأكثر من ٥٠٠ مدفع عيار ٢٥ رطل وبين المدفعية ٤٠٠ مدفع تقريباً عيار ٦ أرطال

وفى يوم ٧ سبتمبر بدا ان رومل قد أكمل انسحابه وتبعت مواقعه الأمامية فى مسرح الهجوم الأخير : الخط من دير المناسب ـــ الحميات ، ولم تبذل أية محاولة لاقلاقه لأن الواجب الرئيسى للجيش الثامن كان اعداد القوة الكافية لهجوم كبير يقوم به

الفصل العاشر

مونتجومرى يستعد للضرب

على أن عمليات التثبيت الحقيقية الأولى إنما كانت كلها اغارات تجريبية بقوات تحملها السفن ثم تنزل إلى الساحل لتتعاون مع قوات تتسرب إلى البر ، وقد حدثت كلها فى ليلة ١٣/١٤ سبتمبر ، ويمكن أن يقال عنها اجمالا أنها لم تحصل على نجاح يمكن أن يعتد به .

كان الهجوم الأساسى على طبرق ، وقد تسرب بطريق البر قول من يومنيرى السرى والسسكس مع بعض رجال المدفعية المضادة للطائرات والخاصة بالدفاع الساحلى ثم داورية من داوريات الصحراء البعيدة المدى ، وقد قامت هذه القوات بمهاجمة نقطة قوية فى الطرف الشمالى لميناء طبرق واحتلتها ، وفى أثناء هذا كانت الجماعة التى تحملها السفن والمكونة من سرية من كتيبة ارجيلز وفصيلة من النورثمبرلاند فوزيليرز وبعض المهندسين ورجال المدفعية تتقدم فى قوارب الطوربيد ، وتبعاً لسرعة هذه القوارب فقدت الاتصال ببعضها البعض فى الظلام الحالك ، وبذلك وصلت القوارب إلى الساحل فرادى ، وتبعاً لعدم إدراك علامات التمييز الضوئية أطلق الانجليز الذين جاءوا بالبر النيران على هذه القوارب وأمكن فقط لجنود قاربين اثنين أن يصلوا إلى الساحل .

وفى نفس الوقت تمكنت المدمرات برغم المقاومة العنيفة أن تنزل بعض الجنود عند مرسى مطروح ، وقد أمكن تصيد المدمرات بأنوار البواعث الكاشفة ومع هذا استمرت المدمرات فى عملها والاشتباك بمدفعية العدو الساحلية ففقدت القوة البحرية مدمرتين و٤ قوارب طوربيد وسفينتين بحريتين من طراز (اللنش) وفقدت قوة الجيش وحدها ٣٨ ضابطاً و٤١٩ صف وعسكرى

ولم تستطع قوة أخرى تقدمت بطريق البحر تقصد بنغازى ، أن تصل اليها فقد تصدت لها قاذفات القنابل فاضطرت إلى الانسحاب نحو جالو ، ووصلت قوة أخرى إلى مطار بارث ودمرت عدداً كبيراً من الطائرات ، ثم تجمعت هاتان القوتان وهاجمتا واحة جالو ولكن بعد قتال دام خمسة أيام بقى الانجليز طوالها يحتلون ركن الواحة ، أرغمت القوة كلها بسبب وصول إمدادات قوية للعدو على أن تتقهقر إلى الكفرة

أما فى الجبهة الأساسية فقد مر سبتمبر كله بسرعة بعد أن أمكن صد هجوم رومل ، ولكن بالرغم من أنه لم يكن هناك قتال فى مدى واسع إلا أن الطرفين كانا يعملان بنشاط ، فقد كون الفيلق العاشر الجديد فى سرية تامة ، على أن هذا الفيلق لم يكن هو وحده الذى انتهزت فرصة هذا الهدوء لتدريبه (وأصول القتال ليست ثابتة فهى دائمة التغيير ، والجيش الذى يظل قانعاً بما وصل إلى جنوده من تدريب فى وقت السلم فلا ينتهز فرصة أى هدوء لاعادة التدريب خلف جبهة القتال يكون قد قطع نصف الطريق إلى الهزيمة ، وقد كون فردريك الأكبر الجيش البروسى القوى ودربه فلما مات هزم هذا الجيش فى (فالمى) وكان السبب الأكبر لهذا أن الجيش البروسى قد بقى يتبع تكتيكات ثابتة

لا تتغير أمكن التغلب عليها بتكتيكات جديدة لم تكن متوقعة . وكان الجيش الثامن بين المعارك — بل حتى إبانها — يعمل باستمرار للحصول على دروس جديدة للانتفاع بها ...

على أن قوات المحور كانت قانعة بهذا السكون .. ولم تبذل من جانبها طوال هذه الفترة أى جهد اللهم إلا تحصين مواقعها وتقوية حقول ألغامها التى انتشرت فى أرض الصحراء الفسيحة كما تنتشر بقع الزيت على وجه الماء ... ويبدو أنهم كانوا يحزرون شيئاً مما سيجىء ولهذا فان رومل نفسه ذهب إلى برلين لتبادل الرأى ، وبالرغم من أن الصحف نشرت حديثاً له جاء فيه « إننى لم اتقدم إلى العلمين بقصد أن ادفع عنها للوراء .. يجب أن تثقوا بقوة قبضتنا على ما وصل لأيدينا » .. إلا أنه فى الواقع قال شيئاً غير هذا لهيئة أركان الحرب الألمانية ، والتقارير التى لم تنشر أشارت إلى أنه طالب بامدادات جديدة وأنه رفض متابعة الهجوم حتى تجاب كل مطالبه ، ولكن توجد تقارير أخرى تقول بأنه خضع تماماً عندما عرض على هتلر ، وهذه هى المشكلة فى الواقع بالنسبة للقادة الألمان فى هذه الحرب ، ولهذا فقد قنع رومل — فيما عدا قوات سد الخسائر العادية — بفرقة واحدة جديدة هى الفرقة العشرون القادمة من كريت ، والواقع أن هذا الوعد لم ينفذ فلم يصله منها إلا كتيبة واحدة جاءت فى اكتوبر ..

والسبب الرئيسى لهذا التكاسل فى ارسال الامدادات هو ازدياد خطورة النقل البحرى فى شرق البحر الأبيض المتوسط فبسبب سيادة الحلفاء الجوية لم يكن إلا القليل بستطيع أن يتسرب ليصل أى ميناء لشرق بنغازى ، وفى الاسابيع الثلاثة الأولى من اكتوبر فقد المحور ثلاثة ارباع سفن النقل

للتى كانت تعبر البحر المتوسط ، وفى المدة من ١٣ إلى ٢٣ اكتوبر اغرقت أو أعطبت بدرجة كبيرة ٢٧ سفينة للمحور ، وقد حاول رومل القيام باللعبة القديمة لوقاية طريق طرابلس البحرى بالقيام بغارات شديدة على مالطة ، ولكن هذه الاغارات لم تبدأ حتى الحادى عشر من اكتوبر ولهذا لم يكن هناك الوقت الكافى لتعبر البحر امدادات كافية قبل بدء هجوم الجيش الثامن

وفى الثلاثين من سبتمبر اقتطع الهدوء الأرضى بهجوم عنيف ضد دير المناسب بكتائب آلاى كوينز رويال ، وقد استطاعت كتيبة الاستيلاء على الطرف الشمالى للمنخفض واستطاعت أخرى برغم تنكبها فى الألغام والأسلاك الشائكة أن تصل إلى الف ياردة جنوبى المنخفض وتوقفت هناك ، وكانت قوات المحور فى تلك المنطقة فى فرقة فولجورى الايطالية وكلها من جنود المظلات الذين كانوا يستخدمون وقتيا كمشاة ، وقد قاتلوا بعنف وأعطوا الجيش الثامن فكرة جديدة عن قدرة الايطاليين على القتال ، وفى الخامس من اكتوبر اكتسحت سرية من الرويال سسكس موقعاً للعدو على هضبة الرويسات ، وفى الليلة التالية قام اللواء اليونانى الذى كان يشكل ويدرب فى مصر منذ ربيع عام ١٩٤١ بدوريات ناجحة .

ومثل هذه الأعمال تعتبر شيئاً عادياً فى البلاغات الحربية ، ولكن اولئك الذين عملوا فى إحدى الدوريات يعرفون وحدهم ماذا يمكن أن تعنى ، فهى جزء ضرورى من عمل الجيش ... ولها قيمتها التى تعادل الخطورة التى يعرض لها الأفراد عندما يتعمقون داخل خطوط العدو ...

وقد مرت الأيام حتى العشرين من اكتوبر فى مثل هذا النشاط ، وفى هذا اليوم وصلت رسالة إلى السلاح الجوى من الايرفايس مارشال كونينجهام

تعلن أن سلاح الحلفاء الجوى قد بدأ ما سيكون معركة حاسمة ، ففى الثلاثة الايام التالية كانت الطائرات تقوم بهجوم عنيف، وفى يوم ٢٣ وصل الهجوم إلى درجة كبيرة من العنف فهوجمت القواعد الجوية الأمامية وخطوط المواصلات ومواقع المدافع وأماكن احتشاد الحملات الميكانيكية وعند انسدال الظلام اشترك الأسطول فى ضرب المستودعات والمواصلات عند مطروح ؛ وتأهب الجيش الثامن للهجوم الذى تلقى كل جندى فى هذا الجيش رسالة خاصة عنه من القائد العام .

obeikandl.com

الفصل الحادى عشر

معركة مصر ـ المشاة تتقدم

طوال الأربعة عشر يوماً السابقة كانت داوريات الجيش الثامن تعمل فى رفع الألغام فى القطاع الشمالى حتى لا تعطل الألغام أى تقدم ، واتمت فى الثالث والعشرين من اكتوبر عمل ممرين جديدين فى ذلك القطاع حيث كان الهجوم الأساسى سيوجه ، وقد أعدت الترتيبات لهذا الهجوم فى شهرين طويلين مع الانتفاع بتجارب الماضى ودروسه ، وقد دلت التجارب على أنه لافائدة ـ على الأقل محليا ـ من دفع القوات المدرعة فى المراحل الأولية ضد المواقع المجهزة بقوة ، ولهذا فان تكتيكات الجيش الثامن الجديدة قامت على أساس التسرب داخل هذه المواقع بالمشاة تعاونها خلالة نيران قوية من الأرض والجو ...

وكان مع المشاة بعض العناصر المدرعة لاستثمار النجاح المحلى ، ولكن الحشد الهائل من الدبابات كان فى الخلف على أتم أهبة للنفوذ بعد أن تكون المشاة والمدفعية قد طهرت الطريق .. ولهذا حشد فى الشمال أربعة عشر لوا من المشاة ولواء مدرع يعاونها ثمانماية مدفع ميدان .. أما فى جنوب الفيلق ٣٠ فكان الفيلق ١٣ فى سبع لواءات من المشاة ولوائين مدرعين وقول طيار فرنسى ، كما كان الفيلق العاشر المكون من فرقتين مدرعتين يتقدم وراء الفيلق ٣٠ ، وخلف هذا يجرى فى تشكيل خاص لواءان نيوزيلانديان جديدان ،

وكان القصد أن يكون الفيلق العاشر — كما حدث فعلا — المفاجأة التكتيكية الكبرى للمعركة ، فقد حشد للتدريب خلف ميدان المعركة بخمسين ميلا ، فذا جاءت اللحظة الحرجة تقدم هذا الفيلق للامام تحت ستر الظلام .

وقد خدع العدو تماماً عن إدراك وقت ومكان وقوة الهجوم ، هذا عدا أن الفيالق أجرت تجربة كاملة لعملية الهجوم فى منطقة أعدت اعداداً تاماً وتشبه الى أقصى ما يمكن منطقة العمليات ..

وهنا يجمل بنا أن نتحدث عن الوحدات مجملة بدلا من التحدث عن الفرق بالتخصيص ذلك لأن تنظيمات الفرق كانت تتباين بكثرة ، فقد قسم اللواء المدرع بين لواءات المشاة للفيلق ٣٠ ووضع اللواء اليونانى مع الفرقة الخمسين التى ذكر أحد لواءاتها مع الفرقة الرابعة الهندية ، كما ان اللواء الفرنسى الأول ذكر مع الفرقة السابعة المدرعة .

ولم يكن رومل قد عاد إلى جيشه عندما بدأت المعركة وكان قد ترك الجنرال ستوما فى القيادة ولكن هذا قتل أثناء إغارة جوية على مركز رياسته فخلفه فون ثوما ولكن لا شك فى أن توزيعات قوات المحور هى من مسئولية الجنرال رومل وحده . وكان هناك اعتقاد خاطىء لدى الألمان بأن الهجوم الأساسى سيوجه إلى هضبة الرويسات فى القطاع الأوسط ، وكان يرجحون بمثل هذا الهجوم لو حدث وكانت خطة رومل لهذا أن يعطل الهجوم الى غاية ما تستطيع فرقة بولونا الايطالية وحدها ثم يقوم الألمان بالهجوم المضاد من كلا الجانبين ، ولهذا فقد حشد فى القطاع الشمالى كل المشاة الألمان تقريبا مع فرقتين ميكانيكيتين ايطاليتين ونحو نصف دباباته ، وكان فى الجنوب باقى دباباته مع بعض جنود المظلات الألمان و ٤ فرق ايطالية ، وقد لام الجنرال توما

ـ بعد أن أسره الانجليز ـ الماريشال رومل لخطئين تكتيكيين : الأول أنه وضع قواته المدرعة ومدفعيته المضادة للدبابات على مقربة من خط القتال دون أن تكون هناك أى حاجة إلى ذلك ولهذا فانها تكبدت خسائر فادحة من نيران المدفعية الانجليزية ، الأمر الثانى أن حقول الألغام كانت موضوعة فى ترتيب سيء فالكثير منها لم يكن تحت مراقبة المدفعية ولهذا كان رفعها بخسارة تقل كثيراً عما كان متوقعاً

ومسألة « رفع الألغام » فى رأى الناس مسألة سهلة ، وكان جنود الجيش الثامن يتساءلون عما يخالج قراء الصحف عندما يقرأون فى البلاغات الحربية سطراً يقول (وقد طهر طريق داخل حقول الغام العدو) والواقع أن هذا السطر يغطى عملية من أعقد العمليات فى الحرب ، فلو قدر للقارىء أن يخرج مع جماعة من جماعات رفع الألغام فى جبهة الجيش الثامن إبان شهر اكتوبر عام ١٩٤٢ لرأى جماعة استكشاف تسير فى المقدمة واجبها هو واجب جماعة الاقتحام بالسونكى فى قتال الخنادق قديماً ، وفى كل من جانبى هذه الجماعة جندى يحمل بندقية تومى لإرغام أى عدو ـ ترقبه جماعة الاستكشاف ـ على خفض رأسه أسفل الخندق الدفاعى ، وتجىء وراء هؤلاء جماعة أخرى تحمل ما يشبه أنابيب الغاز . هذه الأنابيب هى الطوربيد البانجيلور لنسف طريق فى داخل الأسلاك الشائكة ، ويتعقب هؤلاء الضابط قائد الجماعة وقد أمسك بيده مسدسه ويسير على جانبيه أفراد يحملون لفات من الشريط الأبيض لتمييز الممر الضيق الذى طهر من الألغام

ووراء هذه الجماعة كلها تجىء جماعة أخرى أشبه بخادمات المنازل يحمل كل منهم آلة هى التى تكتشف الألغام ... وتجىء وراء هذه الجماعة جماعة أخرى تضع فوق الألغام المكتشفة أعلاماً صغيرة من القماش ، أما الجماعة

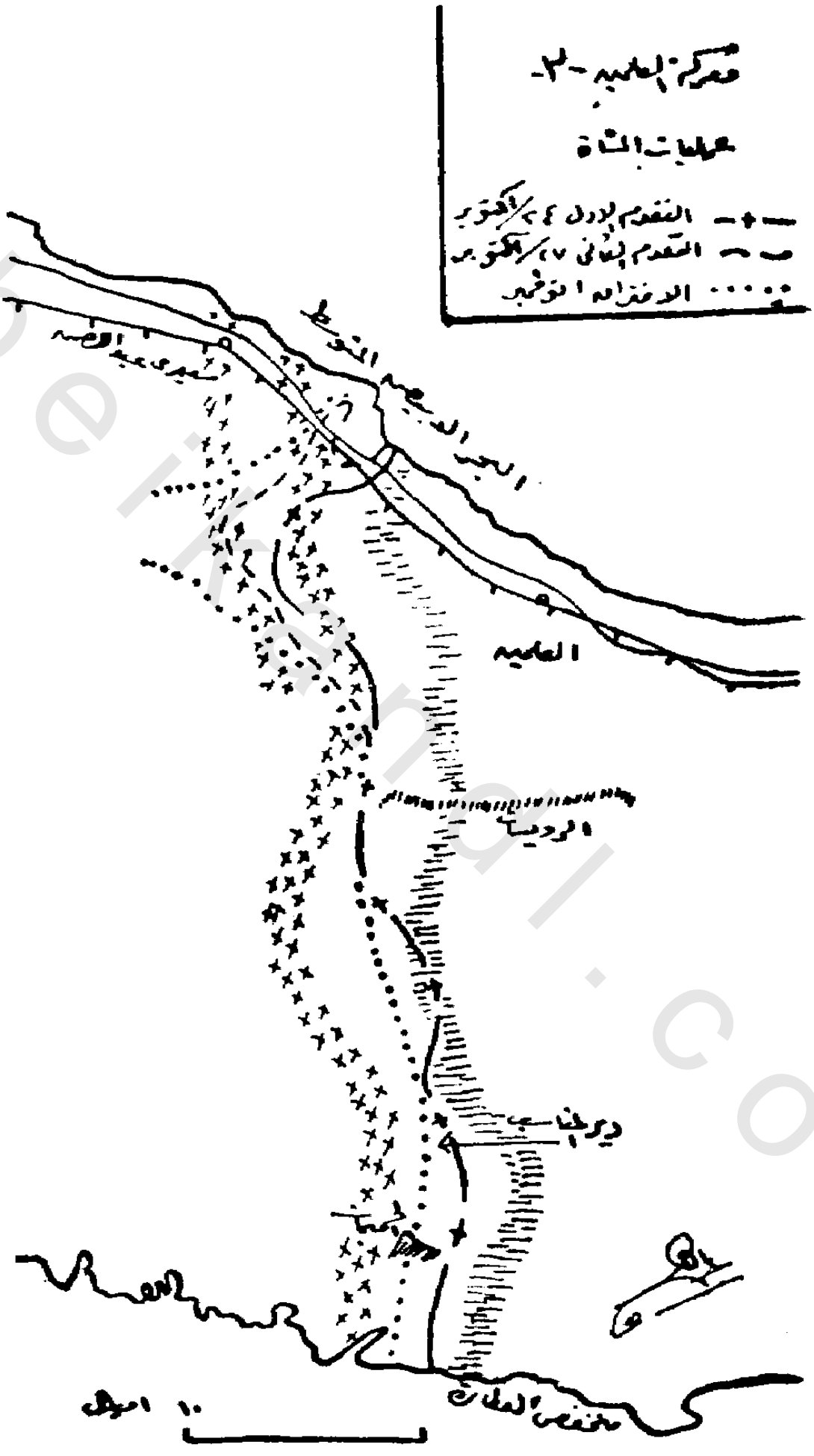
معركة العلمين - ٢ -
عمليات الثانية
التقدم الأول ٤ أكتوبر
التقدم الثاني ٧ أكتوبر
الانسحاب الألماني
البحر الأبيض المتوسط
العلمين
الرديسية
دير الشلف
منخفض القطارة
١٠ أميال

الثالثة التى تتبعها فترفع الألغام بعد أن تضمن سلامتها بازالة أجهزة الإشعال والمفجرات ، وبعد أن يمر قائد هـــذه الجماعة يجىء أولئك الذين يضعون العلامات لتمييز مداخل الثغرات من لوحات ومصابيح مضاءة يتجه نورها فقط نحو القوات التى تقوم بالهجوم

والعمل فى جملته خطر كما هو معقد ... ففى معركة العلمين نسفت ثلاث سيارات فى ثمانى دقائق ... وكان فى الثلاث سيارات ضابط واحد كان فى كل مرة ينتقل من عربة الى أخرى ، ثم أن جماعات رفع الالغام تعرض لنيران قريبة المدى كما تعرض للنيران البعيدة ... ولهذا فانها غالبا ما تنصرف للقيام بواجبها باتخاذ أساليب قد لا تكون فى كتب التدريب الرسميـــة ، ولهذا فليس أحق بالإعجاب والتقدير من جماعات المهندسين وأفراد البوليس الحربى الذين يعملون فى تطهير الثغرات من الألغام ثم تمييزها لمرور قوات الهجوم

وعندما حل الظلام يوم ٢٣ اكتوبر تأهب الجيش الثامن للمعركة التى قال لهم عنها قائدهم أنها قد تكون حاسمة ، ولم يكن هناك حتى الساعة التاسعة والنصف مساء أى شىء خلاف تراشق المدفعية العادى ، كان القمر قد أشرق ولكن نوره قد ثبت أنه قليل الاثر ذلك لان الاتربة والدخان قد أضعفت الرؤية الى ياردات قليلة ، وقد كان هذا مقدراً من البداية ولهذا فان الحدود الداخلية لمواجهة اللواءات قد وضحت بمدافع بوفور تطلق ذخيرة مضيئة على طول خطوط التقسيم .

وفى الساعة العاشرة بدأت المدافع تطلق نيراناً حشدت لمدة ١٥ دقيقة على مدفعية العدو التى كانت مواقعها قد سجلت إلى أدق ما يمكن طوال الاسابيع السابقة ، وكانت مدفعية الجيش الثامن تطلق النيران على مدافع العدو بمعدل عشرين مدفعاً لضرب مدفع واحد من مدافع العـــدو ، ثم حولت المدافع

الانجليزية بعد هذا لمعاونة تقدم المشاة ، وكانت الغلالة كثيفة جداً فى القطاع الشمالى حيث كانت المدافع بفاصل ٢٣ ياردة بين كل مدفعين على طول الجبهة ، ولكنها كانت ثقيلة فى كل مكان آخر ، وعند ما اجتاز الجنود فى اليوم التالى الارض التى عرضت لنيران المدفعية شاهدوا العمل العظيم الذى قامت به المدفعية : كان افراد أطقم المدافع فى خطوط العدو قتلى حول مدافعهم حتى اولئك الذين كانوا فى الخنادق الضيقة قتل أكثرهم ... وقد شوهد ضابط اشارة قتيلا وجهاز الانصات التليفونى لازال على اذنه ، كما وجد قتيل كان يحاول اشعال سيجارة ففى إحدى يديه السيجارة وفى الاخرى صندوق الثقاب .

ومرت عشرون دقيقة على هذه الغلالة العنيفة من نيران المدفعية ثم بدأ المشاة تقدمهم :

أما فى أقصى الجنوب فقد نجحت كتيبتان من الفرقة الاجنبية مع قول من جنود (السباهى) تحت قيادة الكولونيل اميلا كفارى فى الهجوم جنوب الحميات ، وقد اخترقوا منطقة الدفاع الى عمق ميلين ونصف وراء التل ، وفى اليوم التالى صدوا هجمتين مضادتين ، ولكن لما كانوا قد قاموا بواجبهم فى إرباك وتعطيل قوات كبيرة من المحوريين ووجهوا مرة أخرى بهجوم مضاد بالدبابات فقد انسحبوا ثانية ...

وفى شمال الحميات اخترقت الفرقتان الرابعة والاربعون النطاق الخارجى لحقول الالغام فى أربعة أماكن ومرت كتيبة الجريز متبوعة بألاى الدبابات الخامس ، ولكنهم صادفوا بعض المتاعب فى حقل الالغام الثانى ، وتقرر تأجيل أى محاولات أخرى للاختراق حتى يمكن تطهير بعض مواقع الرشاشات والمدافع المضادة للدبابات التى كانت لا تزال باقية فى مواقعها وراء الحقل

ووجهت عملية بحرية عند رأس الكنايس أنظار قيادة الفرقة تسعين الخفيفة إلى أن هناك محاولة للنزول وراء خطوط المحور وارغمت على بقاء هذه الفرقة بعيداً عن ميدان المعركة الاساسية لساعات حاسمة ، وكان هذا كله عمليات تثبيت لازمة

على أن الضربة الاساسية قد وجهت فى القطاع الشمالى حيث كانت الدوريات قد شقت ثغرتين فى حقول الالغام الخارجية ، وقد انسابت من الثغرة الجنوبية ثلاث فرق من المشاة (٥١ وجنوب أفريقيا الاولى — ونيوزيلاند الثانية) مع لوائين مدرعين فى للتعاون القريب ثم جاءت الفرقة العاشرة المدرعة وراء هذا كله ، وقد تقدمت الفرقة الأولى المدرعة عبر الثغرة مجتازة حقول الالغام الخارجية وراء الفرقه الحادية والخمسين والفرقة التاسعة الاسترالية ، وعندما شق هؤلاء ثغرة لانفسهم تابعوا التقدم

وفى الساعة العاشرة كانت القوات قد تقدمت فى موافع العدو لعمق ٤ أميال وراء حقول الألغام الخارجية ، على أن هذا التقدم كان متباين السعة ففى أوسع نقطة كان العمق نحو ٦ أميال وفى أضيقها كان يزيد قليلا عن نصف ميل ، وبدا فى وقت ما ان العدو يحاول أن يقوم بهجوم مضاد بقواته المدرعة ، ولكن لا شك أن العدو قد فوجئ فان بعض الاسرى كانوا لا يزالون يرتدون اردية النوم (البيجامات) ، ولعل العدو أخيراً انتهى إلى التمهل لوقت أطول ، وعلى أية حال فقد تركت الفرق ١٦٤ — ٩٠ المانية — نرونتو الايطالية — ١٥ بانزر لمواجهة الهجوم الشمالى الى غاية ما تستطيع فى المراحل الاولية ، ولم يحرك رومل الفرقة ٢١ بانزر وفرقة اريتى الايطالية المدرعة للشمال إلا فى الخامس والعشرين من اكتوبر وقد قام الهجوم الجنوبى بواجبه فى ابقاء مدرعات العدو فى مكانها لوقت كان من الاصلح استخدامها فى أى مكان آخر

وتزخر هذه الفترة بأقاصيص البطولة ... ويقص شاهد عيان أن قائد فصيلة فى قوات جنوب أفريقيا قتل بقنبلة هاون فتولى اونباشى قيادة الفصيلة فى جرأة نادرة طوال الاقتحام النهائى فى مسافة خمسين ياردة كلهـــا منطقة مكشوفة مليئة بالألغام والشباك . وكان انفجار الألغام يقذف بالأفراد وقد أصيب الاونباشى مرتين بالرصاص ولكنه كان يندفع متقدماً للامام حتى احتلت الفصيلة الغرض المعين لها .. وهذه وغيرها من الأقاصيص تدل على قيمة القوى المعنوية فى جيش يعمل للنصر

وفى يوم ٢٤ اكتوبر صد هجوم مضاد وجه إلى ميسرة الاستراليين قبل أن تصل القوات المهاجمة إلى مواقع الاستراليين ، وفى جنوب الاستراليين استطاعت الفرقة ٥١ أن تدرك غرضها النهائى . فلما جاء الليل بدأ الفيلق العاشر يدفع وحداته المدرعة من خلال حقول الألغام التى لا تزال أمام المشاة ولكنها ووجهت بنيران شديدة وتكبدت خسائر كثيرة من نيران المدفعية البعيدة المدى ، ولكن بعد فجر يوم ٢٥ اكتوبر بقليل أمكن اللواء الثامن المدرع أن يخترق الألغام ويتصل بالفرقة الأولى المدرعة ، وجاء بعده اللواء الميكانيكى السابع فربط بين هذه المدرعات والفرقة الحادية والخمسين ، وبعد قليل استطاعت الفرقة العاشرة المدرعة احتلال موقع الميطرية وبذلك أمكن اطلاق اللوائين الثامن والتاسع المدرعين واللواء الخامس النيوزيلاندى للقيام بأى استثمار ممكن للنجاح ، فلما أقبل المساء بدأت مناوشات — فى مدى ضيق — بين الدبابات على أنه لم يمكن الاستيلاء على هضبة (كيدنى) ولكن العدو أيضا لم يستطع التأثير على كل ما أمكن الوصول اليه من نجاح

وفى أثناء هذا حدث توقف فى الجنوب بعد التقدم الأولى وكانت عملية تطهير النقط القوية فى حقول الألغـــام الخارجية قد تمت ، وشقت باليد

ثغرتان فى النطاق الثانى من الألغام ، واجتازت الثغرتين كتيبتان من آلاى « كوينز » وأنشأتا رأس جسر ، ولكن عند ماحاول اللواء الثانى والعشرون المدرع استثمار هذا التقدم تعرض لنيران شديدة من منطقة الحميات ومن الدبابات الألمانية فأمرت الكتيبتان بالاتجاه شمالا ثم العودة إلى مواقعهما الأولى وقد عادتا بكثير من الأسرى

وفى الساعة السادسة مساء يوم ٢٥ أكتوبر كان جنود الجيش الثامن قد قبضوا على ألف وأربعمائة أسير نصفهم تقريبا من الألمان ، وكان يوم ٢٥ أكتوبر يوما جامداً ولكن العدو أصيب بضربات أكثر عنفاً مما ظن ، والسبب الذى لأجله لم تكن هجماته المضادة أكثر عنفاً هو أنه كان يقوم دائماً بالهجوم بجزء يسير من قواته المدرعة . فكلما تجمع ليكون حشداً من الدبابات قذفته طائرات السلاح الجوى الملكى بأطنان من القنابل ، وكلما دفع العدو هجوما مضادا ووجه بنيران شديدة من المدفعية ومن مدافع الدبابات ، وقد وضح أخيراً أن رومل لم يكن راضيا عن الامر وأنه كان يريد التقهقر إلى مواقع فى غرب الضبعة ، ولا شك فى أن هذا كان فى صالحه بدرجة كبيرة . لكن هتلر أسعفه بأن أمره بالبقاء والقتال حيث هو ، وكان هذا الامر حكما بالاعدام فقد عرضت قواته لنيران متزايدة من المدفعية ، وقد بدا إذ ذاك أن النصر محقق فقد بقى العدو حيث هو لتقبل الضربات التى تكال له .. وشكراً لهتلر الذى أمر بالتوقف للقتال!!

وفى ليلة ٢٥ — ٢٦ أكتوبر قام اللواء السادس والعشرون الاسترالى بالهجوم شمالا ، وعند الفجر كان قد احتل خطا يجرى لقرب الشمال الغربى من تل العيصى لمسافة ثلاثة أميال ونصف وقد عاون الهجوم بخريطة ألمانية استولت عليها احدى الدوريات الاسترالية ، وفى نفس الوقت زادت الفرقة

٥١ من سعة النتوء بالاستيلاء على نقطتين قويتين من جنود المظلات الالمان، والى أبعد من هـذا للجنوب هاجم اللواء ٦٩ من المشاة جانبا من منخفض دير المناسب ، وفى الليلة التالية احتل اللواء السابع الميكانيكى كيدنى ريدج، ولكن عندما حاولت وحداته المدرعة التقدم إلى أبعد من هذا أوقفت بنيران شديدة من المدفعية الالمانية

وفى يوم ٢٧ بذل الجيش الثامن عدة محاولات اخرى للتقدم كما أمكن صد هجومين مضادين للعدو وجههما نحو تل العيصى وكيـدنى ريدج ، وفى المكان الاخير قاتلت الكتيبة الثانية من لواء البنادق فى معركة لا يمكن أن تنسى ونال قائدها الليفتينانت كولونيل ف . ب تيرنر من أجل هذا صليب فيكتوريا فقد قاد جنوده فى هجوم ليلى مسافة ٤٠٠٠ ياردة فوق أرض وعرة حتى استولى على غرضه مع أربعين أسيرا ومدفعين عيار ٨٨ ملليمتر ، ثم نظم الموقع فى دفاع من كل الاتجاهات لمواجهة أى هجوم مضاد للعدو ، وكان هذا الموقع منعزلا لدرجة أن تعويض الذخيرة المستهلكة كان مستحيلا . ولم يكن من المستطاع أن تصل الكتيبة أية امدادات بسبب دقة واحتشاد نيران العدو

وقد عرضت الكتيبة طوال اليوم لهجمات متكررة بنحو ١٠٠ دبابة ألمانية جاءت فى موجات متعاقبة وقد خسر العدو ٣٥ دبابة احترقت و ٢٠ عطلت ، وطوال المعركة كان الكولونيل تيرنر يتنقل بين جنوده حاملا الذخيرة مشجعا الافراد ، ولما وجد مدفعا من عيار ٦ رطل بلا جماعة تتولى أمره ، قام هو بعملية تعمير المدفع ودمر خمس دبابات ألمانية من مرمى قريب وقد أصيب برصاصة فى رأسه ولكنه بقى الى جوار المدفع حتى دمرت آخر دبابة وكانت لاتزال معه طلقة واحدة ، وقد مكنته جرأته من تكبيد الالمان خسارة فادحة فى معركة من أجل وأروع معارك هـذه الحرب ، وضرب

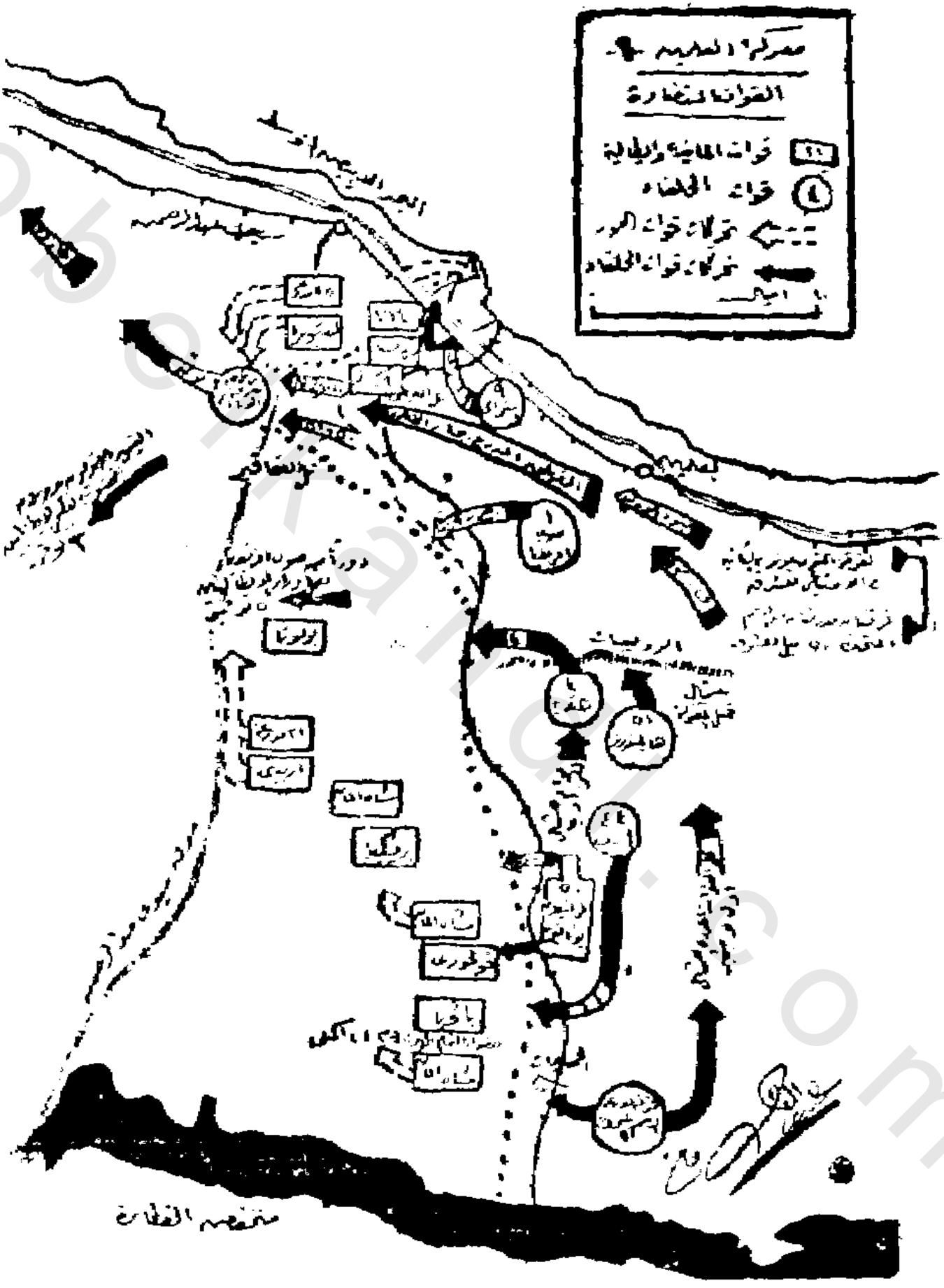
معركة العلمين
القوات المتحاربة
قوات المحور والايطالية
قوات الحلفاء
تحركات قوات المحور
تحركات قوات الحلفاء
البحر الابيض المتوسط
منخفض القطارة

حسن الامثلة للقيادة الجريئة التى كانت مثار تشجيع كتيبة وحدها ، بل والجيش الثامن كله طوال الايام الحرجة الاولى لأدوار الهجوم الأولى

ويبدو أن العدو قد أدهشته هذه النتيجة الى درجة انه لم يصدقها ولهذا فقد ادعى باطلا فى بلاغه الرسمى وزعم انه قد استعاد خط دفاعه الاصلى ثم عاد الى تكرار هذا الادعاء فى اليوم التالى عندما حشد كل قواته المدرعة على الجنب الجنوبى للنتوء ، ولكن هذه القوات تعرضت لتدمير جوى عنيف لدرجة أن الهجوم لم يبـــدأ قط ، وفى الساعة العاشرة من تلك الليلة قام اللواءان الاستراليان ٢٠ و ٢٦ بالهجوم ثانية ولكنهما أوقفا على مسافة ميل من الخط الحديدى الساحلى

وقد بدا إذ ذاك بوضوح ان الاختراق والنصر لا يمكن الاحتفاظ بهما إلا بهجوم عام جديد يعد بدقة ومهارة وبالرغم من أن الجيش الثامن كان قد أمسك بثلاثة آلاف أسير ودمر جزءا كبيرا من دبابات العدو ومدفعيته المضادة للدبابات إلا ان العدو كان لا يزال قادرا على أن يوقف عملية الاختراق بستارة من نيران المدفعية ، ومن الغباء أن تكرر مأساة الغزالة مرة أخرى بدفع الدبابات ضد ستارة المدفعية هذه ....

الفصل الثانى عشر

انتصار القوات المدرعة في العقاقير

ظلت القيادة الانجليزية منذ السابع والعشرين من اكتوبر والأيام التالية تنظم ضربة قوية جديدة ، ثبت أنها ناجحة ، وكان قد أصبح من الضرورى الحصول بأى ثمن على اختراق حقيقى للتفوذ وراء حقول الألغام ومن أجل هذا الغرض سكلت قوة تحت قيادة الجنرال فريبورج القائد العام للفرقة النيوزيلاندية ، وتكونت هذه القوة من اللوائين ٥ و ٦ النيوزيلانديين — اللواء ١٥١ المشاة (٦ و ٨ و ٩ دارهام لايت انفانترى) — لواء مشاة من الفرقة ٥١ — السيارات المدرعة للفرقة النيوزيلاندية ، اللواء الثالث والعشرين المدرع مع البطارية ٣١ النيوزيلاندية المضادة للدبابات ، وهما اللوا ٢٣ المدرع آلاى المدفعية ١٢١ بمدافع محمولة والبطارية ١٦٨ الخفيفة المضادة للطائرات ، سرية تشهيلات الميدان ٢٩ ، ثلاث آلايات نيوزيلاندية من مدفعية الميدان ومعها آلاى نيوزيلاندى من المدفعية المضادة للدبابات والخفيفة المضادة للطائرات ، وأربع سرايا من المهندسين النيوزيلانديين ثم سرية مهندسى الفرقة الحادية والخمسين ، وأخيراً ألحقت بألوية المشاة الانجليزية بطاريتان من المدفعية المضادة للدبابات الانجليزية وثلاث سرايا مدافع ماكينة وتقرر أن تعاون هذه القوة الصلبة العود بأكبر حشد المدفعية نظم فى أفريقيا من قبل ، على ان تطلق المدفعية غلالة نيران موقوتة حددت تفصيلياً واجباتها فى كل لحظة . وكان على الهجوم أن يندفع للامام بأى ثمن ، فاذا

وجدت جيوب مقاومة قوية وجب على المشاة أن تتركها حتى تظل متعقبة لغلالة النيران ، فاذا كانت الغلالة الزاحفة — بالصدفة — سريعة فان الدبابات تتبعها على أن تجىء المشاة فى أعقابها بأسرع ماتستطيع ، وحدد موعد هذا الهجوم فى الحادى والثلاثين من اكتوبر ولكنه أجل إلى صباح الثانى من نوفمبر ، وخلال اعداد هـــذا الهجوم أبقى العدو مشغولا طوال الوقت ، وكان على الأستراليين أن يبقوه غير مطلق اليدين ... على أن يقوموا هم أيضاً بالهجوم على الجنب الأيمن لهذه القوة .

وقد قام الاستراليون بواجبهم ، ففى ليلة ٣٠ اكتوبر بعد أن صدوا هجومين للعدو اثناء النهار ، هاجم اللواء ٢٦ الأسترالى بمعاونة دبابات المملكة المتحدة ومدفعية الفرقة النيوزيلاندية بالإضافة إلى المدفعية الأسترالية متقدما لشمال السكة الحديد ، كما تقدم اللواء ٢٤ الأسترالى أيضاً فوصل فى نتوء حاد إلى ساحل البحر قاطعاً الطريق على قوات العـــدو التى فى موقع تومسون ، وقد تسربت نحو عشرون دبابة من جوار الساحل للاتصال بالقوات الألمانية المحصورة ولما كان الأستراليون يعرفون ما سيحدث فان أحداً لم يعترض هذه الدبابات

وفى أول نوفمبر بدت عدة علائم تدل على أن رومل قد اقتنع بأن الهجوم الشمالى قد أدرك غاية جهده فسحب للقطاع الجنوبى بعض مجموعات الاستكشاف الألمانية التى كان قد حركها لامداد قواته فى الشمال وبذلك كان أقل قدرة على مقاومة الهجوم الجديد ، وقد حاولت حامية موقع تومسون ثلاث مرات متوالية أن تتسرب من قبضة الاستراليين ولكن فشلت كل محاولاتها فسلمت بعد أن تم الهجوم الأساسى عدا بعض أفراد قلائل نجحوا فى التسرب

وبدأ هذا الهجوم فى الساعة الواحدة مساء يوم ٢ نوفمبر وقد بدا نجاحه بسرعة .

وفى الساعة ٥½ مساء تقريباً أبلغ اللواء اليسار أن وحداته تعيد التنظيم فى الأغراض النهائية المعينة له وأن الخسائر طفيفة بالرغم من أن التقدم كان لثلاثة أميال وأنه قد أمكن تطهير طريق واسع داخل خطوط العدو ، وبعد نصف ساعة أبلغ اللواء ١٥١ أنهم قد اخترقوا خطوط العدو وأن القوات المدرعة قد تقدمت لاستكمال النجاح ..

على أن ضغط الأعمال المضادة الأولية التى قام بها العدو وقع كله على اللواء المدرع فتكبد الهوزارس الثالث خسائر فادحة من نيران المدفعية ولكنه وصل إلى مدق سيدى عبدالرحمن ، كما تقدم أيضا آلاى ويلتشاير بومبنرى الملكى للامام بدرجة كبيرة .. كذلك نجح فى التقدم آلاى وارويكشاير بومبنرى ولكنه كان بعيداً للجنوب فلم يستطع الاتصال التام بباقى وحدات اللواء ، وفى فجر اليوم التالى عرضت هذه الآليات الثلاثة لنيران شديدة من دبابات موضوعة فى مواقع دفاعية ومن نيران المدفعية المضادة للدبابات من مرمى قصير ، وقد قتل الكثيرون من قادة السرايا وفقدت محطة اللاسلكى ولكن الدبابات قاتلت فى عمليات فردية بجرأة نادرة طوال اليوم ، وفى نهاية اليوم بقيق من الهوزارس الثالث اثنتى عشرة دبابة ومن الوارويكس سبع دبابات ولم يبق من الويلتس شيئا ولكن العدو فقد أيضا ٧١ دبابة أخرى كما أن خط مدافعه كله قد دمر .. فكانت هذه المعركة بدورها من المعارك التى لا تنسى ..

وكان رومل إذ ذاك قد أرغم تماما على أن يبدأ هجومه المضاد إلا أنه كان قلقاً على قطاع الساحل وكان قد أضاع وقتاً طويلا فى تحريك فرقتيه المدرعتين وأعطى هذا كله الوقت الكافى ليدفع الانجليز للامام اللواءين الثانى والثامن ، ولهذا فانه عند ما قام العدو فى المساء المبكر يوم ٣ نوفمبر

كان اللواء ان على أتم أهبة للقائه ، وقد دفعه ارتباكه الى داخل النتوء فلما لم يستطع البقاء ، حاول التقهقر للخلف كبده هذا غالياً وفقد ٢٥ دبابة نتيجة عمليات اللواء الثانى المدرع وحده

وطلب رومل من سلاح الجو الألمانى القيام بأعمال خاصة فلما جاء عدد كبير من طائرات القتال والقاذفات المنقضة (طراز ستوكا) كانت طائرات القتال الانجليزية والامريكية فى انتظارها .. واسقطت سبع طائرات ستوكا دون أن تخسر شيئاً أما باقى الطائرات الألمانية فألقت قنابلها على الدبابات الألمانية .

كان رومل لرغبته فى زيادة قواته البرية قد استدعى أسراباً كثيرة من صقلية مفضلا كيف تكون الصحراء غريبة لا يمكن تمييز الاغراض فيها للطيار الغريب الذى يطير فوقها لأول مرة ، وقد بدا من أقوال الأسرى أن الاضطراب كان يتزايد فى صفوف الألمان وأن الكثيرين من الجنود لم يستطيعوا مبارحة خنادقهم حوالى الأربع وعشرين ساعة بسبب التدمير الجوى العنيف بل أن بعضهم لم تكن لديهم أية قطرة ماء لأمد حوالى الست والثلاثين ساعة ..

وقد اتسع النتوء للجنوب بمجهود قليل عندما قامت الفرقة الخمسون بالهجوم مساء وفى معاونتها آلاى الدبابات رقم ٥٠ ، وعند المساء وصل اللواء السابع الميكانيكى وفيلق البنادق الملكية الملكى إلى مدق سيدى عبد الرحمن .. ثم قام اللواء الخامس الهندى بهجوم ليلى لازالة ستار المدفعية الألمانية المضادة للدبابات ووصل فى اختراقه إلى عمق ٤ أميال وعن طريق هذه الثغرة اندفعت القوات المدرعة الانجليزية لتدمير ما بقى من قوات رومل المدرعة فى تل العقاقير

وفى هذا اليوم استطاعت القوات الانجليزية التى فى الجنوب أن تثبت أغلب القوات الايطالية والألمانية فى مكانها بهجمات تحويلية ،وقد وجدت أن مقاومة العدو قد بدأت تضعف ، واحتل الفرنسيون دير المناسب ، كما أن داوريات الفرقتين ٤٤ و ٥٠ تقدمت حتى مدق سيدى عبد الرحمن وأبلغت عن خلو المناطق الامامية من العدو ، وقد مرت العربات المدرعة (٤ / ٦) لقوات جنوب أفريقيا من الثغرة التى فى حقول الالغام الداخلية واندفعت نحو الضبعة للاتصال بالرويلز الذين قاموا بأروع اغارة برية فى المعركة كلها.. فقد دمرت القوة فى طريقها لوريات التموين التى كانت معدة لتموين قوات المحور الامامية واستولت على أسلحة الجنود الذين كانت تجتازهم فى طريقها فلم يكن لديها أى وقت لاصطحاب أسرى...

والواقع ان الاغارة كانت مليئة بالجرأة منذ بدايتها فقد اجتازت العربات المدرعة مناطق الألمان الدفاعية وأحيانا مرت على قيد يارادات من أفواه المدفعية ... ولكن كل فرد كان لا يصدق عينيه حتى ان العربات وهى فى طريقها أطلق طيار من جنوب أفريقيا كان قد سقط وراء خطوط المحور . النار عليها لأنه لم يصدق أن العربات قد استطاعت المرور وسط هذه القوات المحورية الكثيرة . . . وقد سببت سرعة الاغارة وقطع خطوط المواصلات ارباك الألمان حتى أن بعض القوات الألمانية كانت تترك وراءها بعض المدافع المضادة للدبابات التى تجر خلف العربات ، فلما انتهت هذه القوة من إغارتها لم يعد من سبب لتعود الى الشرق ثانية لأن الجيش الثامن كان قد تقدم للاقائها.. وكانت نتيجة هذه الاغارة الموفقة تدمير مائتى سيارة نقل للمحور وثلاثين مدفعاً على الاقل أصغرها من عيار ٣٠ م . م وكل هذا بخسارة سبع عربات مدرعة وثلاث لوريات وثلاثة قتلى واثنى عشر جريحاً

على أن الرويلز لم يكونوا وحدهم القوة التى تقوم بمثل هذه المخاطرة فان عربات جنوب افريقيا المدرعة والهوزارس الحادى عشر واللواء المدرع الثامن قامت كلها بغارات قصيرة المدى ولكنها كلها تثير الاعجاب ، حتى أن اللواء الاخير وصل مدق سيدى عبد الرحمن لجنوب منطقة المعركة فى الساعة ١١ الحادية عشرة صباحا يوم ٢ نوفمبر

وكانت معركة الدبابات قد انتهت فى صالح الجيش الثامن ، وبالرغم من الخسائر الفادحة فى القوات المدرعة فانها كانت جزءاً قليلا نسبياً فقد كان هناك الكثير لايزال باقيا ، أما رومل فقد دفع كل قواته المدرعة للمعركة وخسر نحو ستين فى المائة منها . ولكن الأشد خطورة من هذا أن وحدات النجدة والاصلاح لم تكن تستطيع القيام بأى عمل تبعاً لعدم سيطرته على المعركة ....

وفى مساء يوم ٣ نوفمبر كان فى استطاعة الجنرال مونتجومرى أن يلخص المعركة فى رسالة صدرت فى الصباح التالى للجيش الثامن جاء فيها:

« لقد استمرت المعركة الحالية اثنى عشر يوما قاتل فيها كل الجنود فى مظهر رائع .. ولقد أجهد العدو تماما . . . انه يحاول سحب جيشه بعيداً ولكن طائرات السلاح الجوى تضرب قواته المتحركة غرباً على الطريق الساحلى الرئيسى بعنف . . . انى أطلب من كل الجنود أن يتابعوا الضغط وأن لايتهاونوا لحظة واحدة . . . ، ان الفرصة أمامنا لنمسك بكل الجيش الالمانى وسنفعل ذلك . . . إننى أهنىء جميع الجنود لما وصلوا اليه ، إن النصر الكامل قد وضح لنا . . . ولقد قمت نيابة عنكم بارسال رسالة خاصة للسلاح الملكى الجوى شاكراً لهم التعاون الرائع الذى قامت به الطائرات !!! »

الفصل الثالث عشر

الاسراع الى الهرب من مصر

وتعتبر ليلة ٣ / ٤ نوفمبر الحد الفاصل بين المعركة والمطاردة ، ففى ذلك الوقت كان الفيلق العاشر وحده قد دمر ٢٥٣ دبابة و٢٢٢ مدفعاً ، وكان السؤال الوحيد الذى خطر لكل فرد يوم ٤ نوفمبر هو ... الى أى مدى سيستطيع العدو الابتعاد ؟! . على ان الاجابة على هذا السؤال فيما يتعلق بالقطاع الجنوبى كانت لاشىء ... كانت الفرق الايطالية قد تلقت فى اليوم السابق أمراً بالتقهقر وبقيت طوال الليل تنتظر الحملات ولكن لم يصل أى شىء منها ... ، وفى الصباح التالى تلقت تلك الفرق أمرا بالمقاومة الى النهاية .. ، وحاولت ، جيوب ، قليلة أن تصدع لهذا الامر ، ولكن كانت هذه الوحدات تفتقر الى التموين والمياه ، وطوال اليوم كانت الفرقة ٤٤ والفرنسيون واليونانيون يعملون على اكتساح الايطاليين ولو ان حرمان رومل هؤلاء البائسين من حملاتهم لنفع جنوده الالمان لم يكسبه إلا القليل ...

وفى ليلة ٣ / ١٤ اكتسح الاستراليون موقع تومسون

وفى فجر يوم ٤ نوفمبر بدأت محاولة اختراق وتطويق ستارة مدفعية رومل ودباباته والعناصر الامامية من الفرقة ٩٠ الخفيفة ، فتحركت الفرقة الاولى المدرعة الى ماوراء مدق سيدى عبد الرحمن بينما كان الرويال والعربات المدرعة لجنوب افريقيا جنوبى غزال ، وكانت الفرقة العاشرة المدرعة يعاونها

اللواء السابع المدرع الى أبعد من هذا للجنوب متقدمة نحو فوكه ، وطوال تقهقر العدو على الطريق الساحلى كانت تطوقهم الدبابات والمدفعية التى تنتظرهم فى الاراضى المنخفضة جنوبى الطريق والخط الحديدى ، وقد احتفظ جنود اللواء الثامن المدرع بنيرانهم حتى بات الالمان على مدى قريب جداً فأطلقوا النيران فجأة وبسرعة فكان لها تأثير كبير فقد دمروا ٥٤ دبابة علاوة على عدد كبير من اللوريات وأمسكوا بألف أسير دون أن يتكبدوا أية خسارة ، فكان هذا نوعا آخر من معركة ماتابان ولكن فى البر لا البحر . . .

ولا يجوز أن نتعقب الحوادث دون أن نذكر قصة أسر الجنرال ريتا فون ثوما قائد فيلق أفريقيا : كان القائد الألمانى قد خرج متجهم للعقافير لاستكشاف شخصى فى دبابة مارك ٣ لاقناع رومل بأن هناك قوات انجليزية تحاول تطويقه ، ولما كان قد وصل فى ختام المعركة فقد قابل سيار استكشاف يقودها الكبتن جرانت سنجر من الهوزارس العاشر ، واطلقت الدبابة الالمانية طلقة من مدفعها اخترقت المقعد الذى وراء السائق فكان هذا انذاراً للكبتن جرانت بوجود الدبابة فوجه ثيران دبابة تعاون الى الدبابة الالمانية ولحسن الجد كانت الدبابة الانجليزية من طراز جرانت ولأول طلقة من مدفعها عطلت الدبابة الالمانية فأسرع رجالها بالخروج منها فأسرعت سيارة الاستكشاف نحوهم وفجأة رأى الكبتن رجلا طويل القامة معفر الثياب يخرج من خندق ضيق صاح بالكبتن جرانت « انه جنرال » وعندها لاحظ الضابط الانجليزى الشرائط الذهبية التى تغطى ثوبه ولهذا فقد أخذه معه فى سيارته ، على ان هذا الضابط الباسل والذى كان يعمل ياوراً للجنرال نورى قتل فى عملية استكشاف أخرى كان يقوم بها فى سيارته

وكان فون ثوما قد تولى قيادة قوات الدبابات الالمانية فى الحرب الاسبانية الاهلية فى أيام عدم التدخل وقد قاتل فى لوفين فى مايو عام ١٩٤٠ وقد قال الجنرال مونتيجومرى بعد أن قابل الجنرال ثوما فيما بعد انهم وقد ضبطوا فى دنكرك بعض اوراق للمخابرات تعطى وصفاً دقيقا للجنرال فون ثوما ، وقد أخبر الجنرال ثوما الجنرال مونتيجومرى بأن لدى الالمان تقريراً شخصيا عن أخلاق وصفات قائد الجيش الثامن وانه قد جاء فى ختام ذلك التقرير انه يجب توقع تكتيكات جديدة من مثل هذا الجندى الصلب العود . . .

وكانت عملية المطاردة تزداد سرعة كلما مر الوقت ، كانت القولات المتقهقرة قد تعرضت لتدمير جوى عنيف طوال الليل ، وفى الصباح الباكر يوم ٥ يونيو وصلت الفرقة الأولى المدرعة الى الخط الحديدى غربى الضبعة ووصلت الفرقة التاسعة الاسترالية الى بير قاطيا فى على الطريق الساحلى

ووصلت الفرقة ٥١ الى مطار الضبعة ، وقد اوضح السلاح الجوى الملكى السرعة الفائقة التى دفعت بها المطارات للامام والتى لم تمكن العدو قط من التجمع فان أراضى الهبوط كانت تصلح للعمل وتصلها كل أنواع الامداد بالوقود وقطع الغيار فى ساعات قليلة

وفى أثناء هذا كانت قوة الجنرال فرايبورج قد أعيد تنظيمها للقيام بعمليات خفيفة الحركة وتلقت بالاضافة لقواتها اللواء الرابع الخفيف المدرع ثم بدأت التحرك للامام يوم ٤ نوفمبر ... كان واجبها هو التدخل ضد قوات العدو فى سلسلة من العمليات تقع كلها على جنبه الأيسر ، وكان الغرض الاول هو الهضبة جنوب فوكه ، وفى الطريق فاجأت ثمانى دبابات ودمرتها الى جانب أسرها قائد فرقة ترينتو ، وكانت العربات المدرعة لجنوب افريقيا

والرويلز تقوم كلها بالاغارة الى أبعد من هذا للغرب على الهضبة لجنوب مرسى مطروح، وكانت الفرقتان المدرعتان الاولى والسابعة تتقدمان عبر الصحراء للغرب جنوبي النيوزيلانديين

وقد حدثت فى هذه المرحلة الأولى من المطاردة عدة اشتباكات عنيفة دامية، وفى هذه الاشتباكات كانت الدبابات تهاجم وتقتحم مواقع المدفعية المضادة لها. وكانت منحدرات العقاقير مقبرة دبابات المحور، وفى مكان ما من أرض الموقعة وجدت سيارة نقل كبيرة منقلبة وقد تساقطت منها مجموعات كثيرة من الخرائط عن دلتا النيل. فمن هو الرجل المتفائل الذى فكر فى ارسال هذه الخرائط الى جيش رومل ؟ !! على أنه طول أيام هذه المرحلة كانت مجموعات كبيرة من الاسرى تتجه نحو الشرق

والواقع ان مواقع العدو تعطى فكرة صحيحة عن السبب الذى لأجله كان الألمان يعتقدون أنها لاتقهر، ففيما عدا الالغام كانت وسط هذه تزخر بمئات المدافع عيار ٨٨ مليمتر والمدافع المضادة للدبابات موضوعة فى حفر وبالكاد تطل مواسيرها من فوق سطح الارض، مع مجموعات كثيرة من أوكار الرشاشات تحيط بها الاسلاك الشائكة والألشراك والالغام، وكانت هذه تدل على الدفاع الثابت القوى الذى قضى رومل الشهور الطوال فى اعداده، وبالاضافة الى هذا كان لدى العدو ٤ فرق مدرعة وفرقة خفيفة مع مجموعات صغيرة كثيرة يمكن أن تحرك بسرعة لأى جزء من الجبهة

وبدا وضوح فى الخامس من نوفمبر ان رومل لم تكن لديه أية فكرة غير الابتعاد عما بقى لديه من المدرعات الالمانية وفرقتيه المشاة ثم الجزء الباقى من الفرقتين الايطاليتين الميكانيكيتين ١٠١ و١٠٢. وفى نفس اليوم كانت

مجموعة فرق المشاة الايطالية التى فى الجنوب والتى تركت بلا وسائل نقل ولا ماء . تهاجم بالفرقتين ٤٤ و ٥٠ بينما وقفت الفرقة العاشرة المدرعة تسد أى طريق ممكن للتقهقر ، أما فى الشمال فقد حاول العدو أن يتوقف للدفاع على هضبة فوكة . وكان وقوفه فى الواقع حلا له خطورته . ولهذا اتجهت الفرقتان المدرعتان الأولى والسابعة شمالا للمعاونة فى طرده من مواقعه . وقد دمرت مؤخرة العدو فى يوم ٦ نوفمبر وعندما حل المساء وصلت القوات التى تقوم بمطاردته الى الهضبة جنوب مطروح . . . ولكن كان الهوزارس الحادى عشر والعربات المدرعة لقوات جنوب أفريقيا لاتزال إلى أبعد من هذا للغرب ، وكانت الكتيبة الثالثة من آلاى الدبابات الملكية أول قوة تدخل مطروح نفسها ....

وفى تلك اللحظة لو كان الجو قد استمر على حالته الطبية الجافة لتم تدمير فيلق أفريقيا الالمانى كله ولكن السماء بدأت تمطر مطراً غزيراً (لاحظ تأثير المطر عندما بدأ كانينجهام الهجوم فى برقة) ، وكان هذا من سوء الحظ ، وبدأ الجنود يكافحون لانقاذ أنفسهم وعرباتهم ودباباتهم من هذه القرب التى تفتحت عنها أبواب السماء . واستعاد كل منهم لنفسه كيف كان يتضرع إلى الله أن تمطر السماء لطرد الذباب . ولحجب قرص الشمس المانع من حرارة الجو ، وفى السابع من نوفمبر أبلغ الشيوزيلانديون أنهم متعطلون فى مكانهم وأن حركة التطويق التى تقوم بها القوات المدرعة قد توقفت هى الأخرى . وكانت التحركات قد أوقفت تماما فى كل مكان عدا الطريق الساحلى ... وحتى طائرات السلاح الجوى لم تكن تستطيع الرؤية لتقذف الاغراض بقنابلها ..

على أن التحركات على هذا الطريق لم تكن كلها فى اتجاه واحد هو الغرب ،

بل اتجه بعضها نحو الشرق ، وهذه التى كانت تتجه شرقا إنما كانت عربات المانية وايطالية يقودها جنود ألمان أو ايطاليون ومثقلة بجماعات وأفراد من جنود المحور وهم يتجهون وحدهم بلا حراسة نحو الأسر ... وقد حدث مثل هذا مرة أخرى فى تونس فكان هذا وذاك دليلا واضحا على انهيار قوى المحور بين المعنوية ، على أن مسألة انهيار الألمان عندما تمر بهم ظروف قاسية لم تكن اكتشافا جديداً ولكن هـــذا لبث مستوراً بسبب قواتهم الهائلة وطائراتهم الكثيرة فى غرب أوربا والبلقان .. إلا أن العلمين كشفت عن هذه الحقيقة ، كما كشفت عن أن قصة أفضلية وميزة القيادة الألمانية ما هى إلا أسطورة كمسألة أفضلية صفات الاقتتال التى للجنود الألمان ..

وعندما تحسن الجو فى الثامن من نوفمبر كان رومل قد انتفع كثيراً من هذا التوقف فى المطاردة ، على أنه عندما وصل اللواء الرابع الخفيف المدرع إلى مطروح بعد ظهر يوم ٨ وجد الألمان قد أخلوا المدينة وليس بها إلا بعض الجنود الانجليز الجرحى كما وجد بعض جنود كتيبة الكاب لأعمال هندسة الميدان فى معسكر الاسرى ... ووجدت بعض أسطوانات الوقود التى كان الاسطول ينزلها عند الشاطىء لمعاونة القوات التى تقوم بالمطاردة

ودمر اللواء الرابع المدرع فى تقدمه مؤخرة أخرى للعدو عند سيدى برانى — على أنه فى اليوم التالى — ٩ نوفمبر — كان النيوزيلانديون يقتربون من الحلفاية والهوزارس الحادى عشر من كابوتزو والقوات المدرعة من ماديلينا.

وقد وجدت طائرات السلاح الجوى الملكى أغراضاً جيـــدة لقتالها فى القوات المحتشدة بين السلوم وحلفاية حيث سد انفجار لورى من لوريات الذخيرة الطريق مع حفرة واسعة عميقة نجمت عن الانفجار ، وفى مساء العاشر من نوفمبر كان فى استطاعة اللواء الرابع المدرع وجنود الجنرال

فريبورج مهاجمة الممر نفسه ، وقد فوجىء العدو بهجوم ١١٠ جندى من الكتيبة الحادية والعشرين النيوزيلاندية دون أن تعاونهم المدفعية ولا حتى نيران الهاون ، واستطاع هؤلاء بخسارة جنديين اثنين أن يمسكوا ٦١٢ أسيراً منهم بعض الالمان ولكن جلهم من جنود فرقة بيستويا الايطالية التى كانت قد حركت للامام من طبرق . ثم كرر رومل مرة ثانية أسلوبه فى معاملة حلفائه الذين يتولى قيادتهم فترك هذه الفرقة دون أية حملة للثقل ، وعند الفجر هوجم الممر مرة ثانية بواسطة اللواء الرابع الخفيف المدرع وفى هذه المرة أمكن أسر ٨٠٠ جندى والاستيلاء على ٤٠ مدفعاً

وبالرغم من أنه كانت لاتزال هناك بعض جماعات للعدو تتجول فى الصحراء الى الجنوب على غير هدى فانه يمكن أن يقال عن يوم ١١ نوفمبر أنه هو آخر تاريخ لتطهير أرض مصر من جنود المحور ، كما انه يمكن اعتباره اتمام المرحلة الأولى فى الحرب العالمية الثانية . وإن كان أفراد الجيش الثامن أنفسهم لم يظنوا أنهم يخطون فى ذلك اليوم تاريخا مجيداً لهم ، ففى يوميات أحد ضباط الجيش الثامن جاء الآتى : (١١ نوفمبر ... ليلة مملة ... برد قارس . لدغات بعوضة ميتة من البعوض) ، ولكنه لاشك قد كان مشدوهاً برؤية القوات المدرعة وهى تندفع للقيام بعملية المطاردة ... « فكل دبابة تمزق لنفسها قوس موجة قوية يتطاير منها الغبار . . كانت الدبابات تنتشر من البحر مندفعة نحو الصحراء الداخلية . . . سباق صاخب لجيش من الصلب يضغط أفراده بعنف على تانكات البترول للحصول على معدل تحركات برقية ! ! ! »

وهذه السطور خاتمة حسنة لقصة « معركة مصر »

وكما قال قائد الجيش فى رسالة خاصة أذيعت فى اليوم التالى أنه لم يعد فى

الاراضى المصرية اى المانى أو ايطالى عدا الاسرى . . وكان الجيش الثامن قد تقدم ٣٠٠ ميلا فى ثلاثة أسابيع ودمر تشكيلا قوياً للعدو جملته ٤ فرق المانية و٨ فرق ايطالية

وهنا نتوقف قليلا لنستخلص الدروس النافعة

والدرس الاول هو ان مونتجومرى نفض يديه من تكتيكات حرب الصحراء القديمة التى تقوم على الالتفاف والتى استخدمها ويفل وأوكنلك من قبل إذ كان الجنرال الكسندر ومونتيجومرى قد وصلا الى حقيقة لاشك فيها هى ان مواقع المحور فى العلمين هى أشبه بالمواقع الدفاعية التى كانت فى الحرب العالمية ولهذا يجب ان تهاجم بأسلوب الحرب الماضية ولكن مع التجديد والمفاجأة ، وقد أمكن الوصول الى كلا الأمرين باستخدام المشاة كدرع للقوات المدرعة

الدرس الثانى هو « القيادة الموحدة » فقد كان هناك رجلان هما تيدر ومونتى ، ولكن كانت هناك قوة واحدة وخطة واحدة وهذا الاتصال الوثيق من أهم وسائل النصر إن لم يكن أهمها . فلم تعد القوات الجوية التى فى الصحراء الغربية سلاحاً مساعداً كأجنحة واقية للجيش الثامن بل باتت جزءاً منه ، وبات للجيش الثامن أجنحة يستطيع بها أن تكون له قوة ضرب لامثيل لها)

والدرس الثالث هو التنسيق الزمنى لغلالة النيران التى كانت تستر تقدم المشاة ، فقد كان الجنود يتقدمون خلف غلالة كثيفة من نيران المدفعية لاتسبقهم بأكثر من خمسين ياردة ، وحتى عند ما اجتاز المشاة مرمى مدفعية الميدان كانت المدفعية المتوسطة هى التى تقوم بهذا الواجب . . وينبغى ملاحظة انه يمكن من نقطة مراقبة المدفعية فى أثناء النهار مراقبة سير عملية المشاة ، أما فى الليل

فان هذا يتم بواسطة ضباط المراقبة الاماميين الذين يصحبون المشاة فى عربات استكشاف مدرعة تحمى مواصلاتهم اللاسلكية مع مواقع المدافع

والدرس الرابع هو التأثير التكتيكى لحقول الالغام والاسراف الكبير فى بعثرتها فى المناطق الدفاعية . وبذلك أمكن تحديد التحركات فى هذه الصحراء التى كانت أهم ميزاتها طلاقة التحركات .. بل بات المهاجم يجب أن يتبع فى تقدمه طرقا محددة تطهرها بعض قوات منه قبل بدء الهجوم ، والشىء الجديد بالنسبة لمعركة العلمين هو أن تطهير المناطق وشق الثغرات بات من اختصاص جميع الاسلحة بعد أن كان من واجب المهندسين وحدهم

والامر الذى يجب أن يوضع موضع التقدير على التخصيص هو « السرية » Secrecy هذه السرية التى عاونت على المفاجأة .. إن الصحراء لا يمكن فيها إخفاء كل شىء .. ولكن مع هذا يجب ان يظل العدو جاهلا حقيقة الموقف وحقيقة القوات التى تواجهه وان يترك فى قلق دائم لا يستطيع أن يجزم بأمر على حقيقته فيترك الامر لتقديره الافتراضى ، وقد حدث هذا فان الالمان ظلوا حتى تطورت مراحل الهجوم فى القطاع الشمالى وهم مايزالون يعتقدون أن الهجوم الاساسى الاختراقى للانجليز سيكون جنوبى الرويسات

الفصل الرابع عشر

لن نرجع الى الوراء هذه المرة

« وفى هذه المرة » — على ماقال الجنرال مونتجومرى — مادمنا قد وصلنا إلى بنغازى وتخطيناها فلن نرجع إلى الوراء ثانية »

والواقع أن الجيش الثامن بمجرد أن عبر الحدود المصرية بدأ يعمل بسرعة ليحقق أقواله . ففى الحادى عشر من ديسمبر كانت الفرقة السابعة المدرعة مع النيوزيلانديين قد طهرت المنطقـــة بين السلوم والبردية حيث توقف النيوزيلانديون لإعادة التنظيم ، ووصل الهوزارس الحادى عشر وعربات جنوب أفريقيا المدرعة إلى أرض الهبوط فى سيدى رزيق بينما كان العدو يحاول اخلاءها ، وقد أسقطت طائرات السلاح الجوى الملكى وسرب من الطائرات الامريكية ١١ قاذفة قنابل منقضة كما أربكت قولات العدو على طريق البردية — طبرق ، وعندما وصلت قوات الجيش الثامن إلى ذلك المكان وجدت عربات قد تركها سائقوها ليفروا من وجه العاصفة القاتلة ، وقد اصطدمت العربات ببعضها البعض أو انقلبت رأسا على عقب ، بينما اخترقتها قنابل مدفعية الطائرات ثم مزقتها شظايا قنابل التدمير الجوى

وكان بندول الساعة قد دار دورة واسعة منذ شهدت طرقات فرنسا واليونان مناظر شبيهة بهذا .. على أنها لم تكن حملات العدو الخفيفة هى وحدها التى تأثرت بالتدمير الجوى فقد ترك الايطاليون فى بقبق ٨٠ دبابة صالحة للعمل ...

وكان رومل اذ ذاك يسرع فى تقهقره الى غاية مايستطيع ، وكان تفاؤله قد أغراه بأن يحضر الى قواعده الامامية كميات كبيرة من العتاد الحربى ، واضطر إلى أن يستخدم كل أنواع القوارب لاخلاء هـذا من طبرق ودرنة وبنغازى ، وقد أغرق الكثير من هذه القوارب ولكنه مع هذا قد نقل الشىء الكثير . . ، ولهـذا عندما دخلت عربات جنوب أفريقيا المدرعة طبرق فى الساعة التاسعة صباحا يوم ١٣ نوفمبر لم تجد الا القليل من الالمان لتأسرهم . .

وفى مساء اليوم نفسه لم يكن للمحور أى جندى شرق الغزالة ، أما آلاى اللانسرز الثانى عشر فقد اندفع من جنوب بير حكيم ، وفى صباح يوم ١٥ وصل أراضى الهبوط فى مرطوبة من الغرب بينما وصلها اللواء الرابع المدرع من الشرق ، ولهذه الأراضى أهمية خاصة لأنها تكفل الامداد بوقاية جوية للقوافل التى تعمل على الطريق الى مالطة ، وقد أمر آلاى اللانسرز الثانى عشر بالتقدم الى مرطوبة لجزء من مرحلة الى أبعد من هذا ، ولكن بالرغم من أن رومل كان يسرع فى تقهقره فان جيشه كان يزداد قوة كلما اتجه غربا ، فقد التقط خمسين دبابة كانت متروكة فى الخلف كاحتياطى لقواته الأمامية كما تسلم خمسين دبابة أخرى كانت قد أرسلت له على عجل من ايطاليا ، وكانت فرقتا سبازيا وسنتاورو المدرعتان قد انزلتا فى طرابلس ، وكانتا تتحركان نحو حدود برقة ولهذا كان روميل كلما استطاع النجاة والتخلص من هذه القوات التى تلاحقه تجدد أمله فى الوقوف عند مربضه القديم فى اجدابية والعقيلة ، وقد عاونته الامطار التى هطلت بغزارة يوم ١٥ ديسمبر كما عاونته الالغام التى كان يبعثرها خلفه فى التخلص من أى تدخل له تأثيره وخطورته ، وفى التـــاسع عشر من ديسمبر كان قد اجتاز نتوء بنغازى الخطر حيث استطاع ويفل أن يتدخل

فى تقهقر الايطاليين ببيدافوم ، كما سحب رومل ستارته الواقية الى اجدابية

واحتل آلاى اللانسرز الحادى عشر بنغازى فى ٢٠ ديسمبر ، ولكن فى طوال الاسبوع التالى لم تعد المسألة مسألة تدخل ضد قوات العدو المتقهقرة بل باتت سؤالا هو « الى أى حد يمكن أن يسرع الجيش الثامن ليتصل عن قرب بجيش المحور ؟! »

وصل الخط الحديدى طبرق يوم أول ديسمبر ، وفى ١٩ ديسمبر دخلت سفينتان البردية ، وفى السابع والعشرين من الشهر نفسه كانت السفن تستطيع استخدام ميناء طبرق ودرنة ، وفى اليوم الرابع والعشرين دخلت سفينة ميناء بنغازى حيث امكن بسرعة اعادة وسائل التموين والامداد بالاشياء الأخرى غير عتاد الحرب

والواقع أن عمل خدمات التموين هو الذى مكن من أن تصل قوات قوية الى مواقع تمكن من الاحاطة بالعدو فى السابع والعشرين من نوفمبر عندما اتم تقهقره الى خطوط العقيلة ، فاذا انتهينا الى بحث توزيع القوات فى ذلك التاريخ وجدنا قوات من الرويالز تقوم بأعمال الدوريات عند بير الصويرة ، ووصل اللواء الثانى والعشرون المدرع الى شرق مرسى بيرجا ، والجيز الى اجدابية والفرقة السابعة المدرعة الى عنتيلات ، كما وصل اللواء الرابع الخفيف المدرع ولواء المشاة والهوزارس الحادى عشر الى جنوب مرجون ، وكانت رياسة الفيلق ٣٠ مع عربات جنوب افريقيا المدرعة وجزء من الفرقة الحادية والخمسين فى بنغازى ، كما أن اللواء الثامن المدرع كان يتقدم الأمام ، أما رياسة الفيلق العاشر فكانت فى التميمى

وكان من الواضح أن رومل لم يكن يأمل فى العودة ثانية بقوة ، ومن ناحية أخرى فان موقع العقيلة كان قويا جدا فان الخط من قارة الحمود على

الساحل الى معاطن جيوفر يجرى وراء مستنقعات لا يمكن اختراقها مع حفر عميقة مضادة للدبابات على الطريق الساحلى . . أما من المعاطن الى الجنوب حتى يصل إلى مرادا فان الخط عبارة عن سلسلة من النقط القوية وحقول الالغام والاسلاك الشائكة ، وكانت المنطقة من بير الصويرة حتى مرسى بيرجا مغطاة بمناطق مليئة بالالغام ومواقع محفورة جيداً ، والموقع القوى يجتذب دائما انتباه القائد الضعيف ، ولو كان رومل قد خطر له أن يترك العقيلة لكان من الضرورى أن يسرع هتلر لمعاونة الانجليز من طريق غير مباشر فيأمر بالوقوف فيها ، وقد حدث هذا فى آخر يوم من نوفمبر ٩٤٢ وصل أمر هتلر بالدفاع فى العقيلة لآخر جندى ، وكان هذا الأمر واحداً من قرارات هتلر التى قوبلت بترحاب ومكنت من تدفق قوات الحلفاء فى تونس ، ثم مرت ثلاثة أسابيع الغى بعدها هتلر أوامره الخاصة بالوقوف فى العقيلة ذلك لأن الخسائر الفادحة التى تكبدتها سفن المحور جعلت من الضرورى حشد كل قوات المحور فى منطقة واحدة من شمال افريقيا .

فى الاسبوعين الاولين من ديسمبر دمرت الغواصات والطائرات ثلث عدد سفن المحور التى أرسلت الى بنزرت واربعة اخماس العدد الذى ارسل الى طرابلس ولهذا بات من الضرورى أن تنزح القوات حيث يمكن امدادها عن طريق غير مهدد .

والواقع ان رومل لو كان قد تابع تقهقره يوم ٢٧ نوفمبر لكان قد أنقذ كل قواته . فحتى هذا التاريخ لم يكن الجنرال ليندسل قد استطاع دفع الأمداد والتموين اللامام بدرجة تمكنى . ، ولم يكن السلاح الجوى ايضا قد استطاع الحصول على اراضى هبوط امامية يمكن استخدامها ، ولهذا فانه لم يكن فى وسع الجيش الثامن ان يقوم بعملية مطاردة قوية ، ولكن لاشك

انه عندما بدأ رومل يتقهقر يوم ١٣ ديسمبر ثانية كانت كل وحدات الجيش الثامن من مدرعة وغيرها على أتم أهبة لملاحقته

وفى ليلة ١١ ديسمبر لم تقابل داوريات الفرقة ٥١ بأية مقاومة أثناء اختراقها مواقع العدو لعمق كبير ، وبالرغم من أن الاستكشاف بقوة الذى بدأ فى اليوم التالى ووجه الى بير الصويره قد قوبل بهجوم ، مضاد فان رومل اخلى بير الصويره ومرسى بيرجافى يوم ١٣ ، وقد قام الهايلندرز بالمطاردة على الطريق الساحلى وارسلوا قوة لامتلاك بير الصويرة كما قام اللواء الثامن المدرع مع الهوزارس الحادى عشر بالدوران حول جنب العدو وتقدم شمالا نحو العقيلة

وفى اليوم التالى استأنف النيوزيلانديون عملهم لمحاولة التدخل فى تقهقر قولات العدو ، وفى مساء يوم ١٥ قام اللواءان الخامس والسادس بدورة واسعة للجنوب ثم اتجهوا شمالا فقطعوا خط تقهقر الالمان وفى سبيل هذا داروا دورة واسعة فوق منطقة كان المظنون من قبل أنه لا يمكن اجتيازها . . إلا أنهم أجتازوها وفى صحبتهم آلات ضخمة لوضع معابر على الوديان المتتابعة ، وقد استطاع هذان اللواءان قطع مؤخرة العدو التى كان ضمنها بقايا الفرقة الخامسة عشرة المدرعة ومجموعة كبيرة من اللوريات ، وكانت القوات المدرعة مع مشاة الفرقتين ٤٤ و ٥١ تلاحق العدو فى عقبيه الى غاية ماتسمح حقول الالغام ، وكان يبدو فى ساعات كثيرة أن مؤخرته يمكن أن تمسك باليد ، على ان القوات النيوزيلاندية - لواء ٥ و ٦ - لم يكن لديها الوقت الكافى لإعداد مواقع قوية تعطل مؤخرة العدو ولهذا استطاع التسرب من ستارتها القوية الى حد ما ، ولم يمكن أسر أكثر من خمسماية اسير وعشرين دبابة وثلاثين مدفعاً

وحدث قتال عنيف آخر فى نوفيليا يوم ١٨ ، وكان جيش العدو قدبات اشبه بعجلة سيارة بها ثقب يتسرب منه الهواء فى كل مرحلة يمكن تسرب بعض الهواء . . وكان احيانا يستطيع التوقف للنفخ ، ولهذا لم يجدب الهواء من العجلة قط كما انها لم تنفجر ، إلا ان الرحلة من وجهة عامة لم تكن مريحة . .

على أن أول اصطدام حقيقى بعد نوفيليا حدث عند بويراط التى وصلها رومل يوم ٢٦ ديسمبر وبقى بها حتى ١٤ يناير بلا سبب قوى ، فهو لم يتلق أية امدادات منذ أن ترك العقيلة ، وكان من الممكن ايضاً الاحاطة بجنب العدو من الجنوب ، ثم أن غرضه فى الحقيقة كان الوصول الى تونس ، على ان التوقف فى الواقع لم يفد رومل بشىء وإن كان كذلك لم يكلفه كثيرا ، وسبب هذا ان الجيش الثامن كان مرغماً مرة اخرى على تنظيم خطوط مواصلات تموينية عبر مئات جديدة من الاميال فى منطقة معدومة المياه ، كما أن الغام العدو كانت كثيرة وكان رفعها يتطلب جهداً كبيراً . على أنه بالرغم من كل هذه الصعاب فان العدو لم يترك فى هدوء . فابان النصف الثانى من ديسمبر كانت مجموعة دواريات الصحراء البعيدة المدى وجماعات من يومنرى السكس والسرى تغير باستمرار على خطوط مواصلاته حتى طرابلس ، كما ان الفرنسيين القادمين من منطقة تشاد كانوا قد بدأوا يقومون بنصيب فى الحملة . . فأنشأوا تحت قيادة الجنرال ليكلير قاعدة فى فيزان وقطرون ثم تقدموا شمالا فى الثامن من يناير الى سيبكا بعد أن أسروا ٥٠٠ جندى و١٨ دبابة وعدداً من المدافع

وقد يكون جميلا ان نذكر هنا موجز العمل العظيم الذى قامت به قوة تعمل من مسافة الف وخمسماية ميل من قاعدتها الاصيلة : ففى الرابع والعشرين اتصل جنود ليكلير بالانجليز فى جاريان ، وقبيل ذلك الوقت

اتصلوا بحامية الجنرال جيرو واحتلوا بمعاونتها غدامس فى الثامن والعشرين من يناير ، وكان هذا هو أول اتصال بين الفرنسيين الذين هربوا من فرنسا والفرنسيين الذين حرروا من قبضة المحور

على أن رومل لم يقصد الإصرار على الوقوف مكانه بلاسبب ولهذا فقد بدأ منذ السابع من يناير فى سحب مشاته الايطاليين شمالا بغرب ، وقد بقيت وحداته الالمانية مع كل القوات المدرعة فى مكانها . وفى الخامس عشر من يناير كان الجيش الثامن قد اقترب بدرجة تمكنه من متابعة تقدمه العام ،الأمر الذى أرغم العدو على العودة الى التقهقر ببطء تحت ستر عدد من الساقة القوية ، على أنه كان عاقلا فى محاولة البقاء شيئا من الوقت عند العقبات الطبيعية القوية لاكتساب أطول ما يمكن من الوقت وإن كان بالرغم من هذا مجداً للوصول الى تونس مع محاولة تعطيل التقدم دون ان يتكبد أية خسارة .

وقد احتلت مزراطة يوم ١٧ يناير ثم حمص يوم ٢٠ ، وفى نفس اليوم وصلت الفرقة السابعة المدرعة فى الداخل الى طاحونه ، ولم يحدث أى تدخل جدى لتعطيل تقهقر العدو برغم القتال العنيف الذى حدث فى تلال أم رمل حيث تكبدت كتيبة الجرينز خسائر فادحة .

وانتهت كل محاولة لرومل لتعطيل وصول الجيش الثامن الى طرابلس يوم ٢٢ يناير ، وفى الساعة ٥ صباحا يوم ٢٣ يناير دخل النيوزيلنديون المدينة من الجنوب كما دخلتها الفرقة الحادية والخمسون من الشرق ، ونال الهوزارس الحادى عشر مرة أخرى شرف السبق فى دخول المدينة أمام القوات كلها ، والواقع ان جنود الهوزارس الحادى عشر قد أبقوا سجله التاريخى حافلا فقد اشتهروا فى الدفاع عن كاليه وعن كورينثوس فى بلاد اليونان . .

ثم فى هجوم اوكنلك وحول جسر الفرسان

والحق ان سقوط طرابلس بعد ثلاثة شهور من ابتداء القتال فى العلمين يصلح ليكون خاتمة موفقة لقصة تاريخ الجيش الثامن ، فى المرحلة الثانية من تاريخه ولو أن الواقع هو ان اربعة عشر يوما اخرى مرت قبل ان يتسنى تطهير الامبراطورية الايطالية فى افريقيا من آخر جندى للمحور .

على ان الجيش الثامن قد قاتل بعد ذلك فى معارك ناجحة كثيرة كمعركة خط مارث ووادى عكاريت ولكن منذ العشرين من فبراير كان يعمل ضمن المجموعة رقم ١٨ وبدأت خططه الاستراتيجية تعد فى الجزائر بدلا من القاهرة . .

(وهذه هى الحلقة الثالثة فى حياته والتى نقدمها فى جزء تال يصدر قريبا ان شاء الله) ...

على انه قد يكون جميلا ان نلخص هنا كيف تسنى للجيش الثامن إحراز هذه الشهرة الفائقة التى يتمتع بها ، ففى قتال استمر ثلاثة شهور ونصف أدركت هذه القوة الصغيرة نصراً حاسما ، وقطع الجيش ١٤٠٠ ميلا فوق ارض تثير الرعب والخوف والدهشة وكبد العدو خسائر بلغت ٧٥٠٠٠ ثم انه لم يدمر جيوش العدو فحسب بل هدم امبراطورية وقضى على شهرة افراد كثيرين اولهم رومل

كما ان الجيش الثامن تمكن من حل مشكلة قديمة هى مشكلة تموين عدد كبير من الوحدات التى تتقدم بسرعة مع استخدام طريق جيد واحد لقوافل التموين.. فطوال هذا الامد لم يفتقر الجيش قط الى المياه أو الاغذية أو الذخيرة او الوقود .. ولا حتى ابدال دبابات بالدبابات المعطلة .

وقد تسنى له ان يتفوق على العدو بدرجة ساحقة فى نقط ثلاث رئيسية

فى الفن العسكرى : أولها استخدام المدرعات ، وثانيها التعاون بين الجو والارض وثالثها استخدام المدفعية .. والواقع انه قد لا يمكن اعطاء بيانات تفصيلية عن كيفية حشد بطاريات المدفعية والسيطرة عليها ، ولكن الواقع ايضا ان القيادة الانجليزية قد انتفعت إنما انتفاع من تطبيق اصول الحرب فى ضوء الاسلحة الحديثة لتربط الحاضر بالماضى وكان هذا جديداً فى هذه الحرب . !

ولاينبغى ان نغفل ان انتصارات الجيش الثامن قد بددت فى الهواء الشهرة التى كانت قد نالتها العبقرية العسكرية الالمانية فى روسيا ، وليس هناك ما يمكن ان يضاف الى مجد الجيش الثامن اكثر من إصرار المارشال ميسى القائد الايطالى العام فى تونس على التسليم للجيش الثامن وحده وحده لا لأى فرد آخر . . .

وقد قال المستر تشرشل فى خطبته للجنود يوم ٣ فبراير فى طرابلس :

« لقد قدمتم خدمة جليلة لوطنكم وللقضية المشتركة . وان اعمال الجيش الثامن ستبقى لامعة مضيئة فى سجل التاريخ ، ان ايام انتصاراتكم لن تصل الى نهاية . . »

وقد كان هذا حقا كما انه سيكون !!

على نحو ماسيرى القارىء فى الجزء الثانى من هذه السلسلة فالى اللقاء القريب . . .